راجيـــن مسلـــم

الجـــزء 2

أسياد الأرض

بيـــن مـــاضٍ وحاضـــر

ضياء
t.me/twinkling4

رواية

مركز الأدب العربي للنشر والتوزيع ، ١٤٤٥ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
مسلم ، راجين سلطان
أسياد الأرض ج٢ «بين ماض وحاضر» / راجين سلطان مسلم .- ط١.
الدمام ، ١٤٤٥ هـ
٢٨٦ ص ؛ ١٤ سم
ردمك: 978-603-8411-14-8
رقم الإيداع: ١٤٤٥/٢١٣٢
١- القصص العربية- السعودية أ.العنوان
ديوي ٨١٣,٠٣٩٥٣١ ١٤٤٥/٢١٣٢

مركز الأدب العربي للنشر و التوزيع

مسؤول النشر :
للتواصل
0597777444

الموقع الإلكتروني :
Www.Adab-Book.Com
مركز الأدب العربي
@Services_Book
@ServicesBook1
مركز الأدب العربي
adabarabic7
services_book@outlook.sa

المملكة العربية السعودية- الدمام
لطلب إصدارات مركز الأدب العربي
00966594447441

دولة الإمارات العربية المتحدة مكتبة الأدب العربي 00971569767989

جمهورية مصر العربية مركز الأدب العربي 00201120102172

الحقوق محفوظة : لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه ، أو تخزينه في نطاق استعادة جميع المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال بدون إذن سابق من الناشر .

جميع العبارات و الأفكار الواردة في الكتاب تعبّر عن وجهة نظر المؤلف دون أدنى مسؤولية على الناشر .

ملحمة أسياد الأرض

«بين ماض وحاضر»

رواية

راجين مسلم

RajeenSu

rajeensul

الطبعة الثانية

١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٣ م

جميع الحقوق محفوظة لدا: مكتبة ضَـاد، الإلكترونية. ©

تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

أشرف غالب.

حلقة تُعاد وتُكرر

عاجلة غير آجلة

بين كل ماضٍ وحاضر

لا فرار اليوم من الموت، والقتل مصير كل هارب

مجهول حتى حين

ريح عاصفة وصوت زفزفة، ضربات برق ورعد متكررة أثارت الرعب في نفسها، ورغم رجفة جسدها إلا أنها قاومت خوفها وسارت في الظلمة بينما تردد في داخلها:

«أين أنا»

«وما الذي يحدث»

شعرت بالريح وهي تنثر خصلات شعري، شعرت بحركة العشب والحشائش وهي تتمايل بنعومتها على ساقيّ، أحسست ببرد كاد يغرس أنيابه في قلبي، أحسست برهبة من الرعد وهو يضرب من حولي دون أن أراه، ثم شعرت بشموخ البرق وهو يكاد يقسم الظلام، ينير ما اختبأ خلف عتمته

بدأت أشعر وكأنني أدور في حلقة لا مخرج منها، توقفت بعدها لألتقط أنفاسي بعد أن مشيت مدة طويلة، شعرت فجأة بشخص خلفي فأدرت جسدي لأرى من يكون لكني لم أجد أحداً، ثم شعرت بأنفاسٍ عند أذني لأصرخ بكل قوتي مبتعدة عمن يحوم حولي، وأخذت أركض حتى تثاقلت أنفاسي وكاد قلبي يغادر مستقره من شدة رعبي وخوفي وبرودة أطراف جسدي، فجأة سمعت صوت ضجيج غير صوت الريح والرعد فقد كان صوتاً مزعجاً ولكن وحيداً وخائفاً: وماذا بعد؟

بدأت آلف هذا الصوت، هو بكاء رضيع، نهضت أبحث عنه باستماتة لعلي أنجده من الظلمة الموحشة والبرد

القارس، لكن لا فائدة فكلما تحركت باتجاه سمعته يتبعني حيث أذهب حتى قطع الصوت عندما اصطدمت بشيء أمامي، لم أرَ ما هو فأخذت أتحسس ملمسه لعلي أعلم ما هو، كان قاسِياً وخشن الملمس كلحاء الشجر كاد من قسوته أن يخدش أطراف يدي

تزايدت ضربات البرق والرعد واشتدت الريح لتتمايل الأعشاب والحشائش من شدتها، تراجعت بضع خطوات للخلف حتى كسر ضوء البرق الظلمة وأنار ما كان يختبئ خلف ستارها، سكن المكان حتى أنني ما عدت أسمع أي صوت وكأن الرعد والريح اتفقا على أن يتوقفا معاً، وكأن البرق تعمد ألا يخفت نوره ويبقى منيراً ثابتاً فوق ما كنت أخشاه

فقدت الشعور بأطرافي وبضربات قلبي حتى أن أنفاسي لم أعد أشعر بها، صمت مخيف وهدوء غريب لقد تجمد الوقت أمامي وما أراه أمامي شعرت وكأنه يقول لي: لا مفر

تقف أمامي تلك الشجرة العملاقة بكل شموخ ووقار ذابلة أغصانها مؤذية كل ناظر، تدلى من أغصانها القاسية سبعة أجساد معلقة توسطهم جسد لبس تاجاً، ثم تدلت ثلاثة رؤوس منهم والآن تدلى رأس رابعهم ليسقط التاج أرضاً على إثره

ثم سقطت فجأة وكأن الأرض قد شقت إلى نصفين

حتى تبلعني، وهويت بسرعة ثم توقفت عن السقوط لأسبح في فراغ دامس كغيمة تحلق في السماء، ظهر أمامي ثلاثة أقمار حمراء مصطفة كان أوسطها أكبرها حجماً، ثم اختفت ليظهر مكانها قمر أزرق عملاق وعاود الاختفاء ليظهر مكانه قمر أصفر كان أصغرها حجماً، ثم اختفى بدوره لتعود عتمة المكان وأعاود السقوط في هاوية لا قاع لها

: أمر حلمك غريب حقّاً!

: كان مختلفاً عن العادة فلم يكن حلمي عادياً إذ شعرت أنه كان واقعاً وملموساً عكس أحلامي السابقة

: من بظنك هؤلاء السبعة المعلقون؟

: لا أعلم حقّاً

: ألم يكونوا مألوفين بالنسبة لك؟

: لا يا هائج

هائج: لا بأس سنعرف هوية أحدهم قريباً

شفق: من تقصد؟

هائج: صاحب التاج

شفق: وكيف سنعلم هويته؟

هائج: لم يكن كغيره من الأجساد فهو أوسطهم وهو الوحيد الذي لبس تاجاً لذا لا بد أنه ملك لإحدى

شفق: وما الفائدة إن علمنا هويته؟

هائج: قد نجد خيطاً يدلنا على معنى حلمك وربما هوية أحد من الأجساد المتبقين، على أي حال سننتفع به

: معك حق

: سأتركك الآن قدمت لإخبارك أنني سأنشغل الليلة وربما لن أستطيع القدوم إلا في الغد

: هل كل شيء على ما يرام؟

: لا تقلقي

: توخَّ الحذر

: أنتِ أيضاً

بعد أن غادر هائج حجرتها بقيت لعدة لحظات تستذكر حلمها ثم قررت فجأة أن تدونه لكيلا تنسى تفصيلاً بالمستقبل، لكنها لم تجد أي شيء حتى تكتب به فبدلت ثيابها وخرجت تبحث عن متجر يبيع لها ما تحتاجه من مستلزمات كورق وريش وحبر

- أثناء سيرها في أروقة مملكة عدن، لفت نظرها دكان مختلف عن الدكاكين فلم تكن صاحبته تعرض أي بضاعة مادية، فقد كانت تستعرض قدرتها على قراءة مستقبلك، بدت لي متحايلة ولكن شيئاً ما جذبني إليها، شيء ما

جعل قدميّ تقودانني إليها، ربما بسبب تينك العينين وربما هو سحر لم يستوعبه جسدي كيف لامرأة أن تسحر امرأة، كانت سمراء كالبن تباهى بنقوش زادت من لذتها وحلاوة منظرها وبعينين هائمتين تسحران كل من تقع عيناه بها وأكاد أقسم «أن عينيها تلمعان كاللؤلؤ الأبيض»

رددت في نفسي

: أتمنى ألا يراها هائج فيغرم بعينيها الناعستين ولمعة عدستيها الفضيتين واللتين اختبأ نصفهما أسفل رمشها الكثيف لتزيد الناظر إليها فتنة على فتنة

بصوت ناعم ثقيل وهادئ على المسمعين وبابتسامة ساحرة قالت وكأنها تثبت سلطتها عليها: أهلاً بك

شفق: لا أعلم ما الذي أحضرني هنا

ضحكت بخفة ثم قالت: أحضرك القدر إلي

شفق: لم أفهم ما الذي تقصدينه؟

: كل شيء قدر وكتب

شفق: ما الذي ترمين إليه؟

: اتبعيني إلى الداخل

عدت أسير دون وعي مني كسجين كبلت إرادته وأحكمت السلاسل على قدميه يجر إلى مصيره المجهول، انبهرت من شكل الدكان من الداخل فكان لون الحوائط

أسودَ رسمت عليها خرائط للكون، كواكب ونجوم تسبح وستائر بنفسجية أخفت أشعة الشمس من خلفها لتجعل المصابيح الملونة تتلألأ بتناغم مع المكان

: تفضلي بالجلوس يا شفق

شفق: كيف عرفتِ ما هو اسمي فلم أخبرك بعد؟!

بابتسامة خافتة: أخبرتك، لقد أحضرك القدر

شفق: ماذا تقصدين بكلامك هذا؟

: اسمي هو الزهراء

شفق: أخبريني أيتها الزهراء

الزهراء: هاتِي يديك

مدت شفق يديها بفضول

الزهراء: بحر وقمر ونجم

شفق: ماذا تقصدين؟

الزهراء: هذا أصلك ومنشؤك وماضيك

ثم أكملت بهدوء: ذهب وسيف وغيم، مستقبلك، أما عن حاضرك فهو سلب وقتل وولادة

شفق: لم أفهم ما تعنينه ولكن ماذا عن الحب؟

الزهراء: بذرة لن تسقى

شفق: لماذا؟

الزهراء: قرار بنفسك

شفق: ما معاني هذه الكلمات إذاً؟، ذهب وسيف وغيم!

الزهراء: كما أخبرتك مستقبلك

شفق: فهمت ذلك لكنني لم أفهم معانيها فهي ثلاث كلمات لا ترابط بينها

الزهراء: لم يحن وقتها بعد

شفق: ما الفائدة إذاً من إخباري؟

الزهراء: إرادتك أنتِ لا أنا

شفق بغضب: ما هذا الهراء الذي تتفوهين به؟

الزهراء: ما تحتاجين سماعه

شفق: من أخبرك أن هذا ما أود سماعه؟

الزهراء: ما تحتاجين وما تودين خيط بينهما رفيع

شفق: تثرثرين بكلام غريب!

الزهراء: الغرابة فيما لا تتقبلين

شفق: كما تودين أكملي حديثك الفارغ لكنني لن أهبك مالي فأنت لا تستحقين

الزهراء: مالك يذهب ويأتي

وبابتسامة ساخرة أكملت: لم أخبرك أن هذا ما أريد

شفق: أيّاً كان ما تريدين لن أهبك شيئاً

الزهراء: لم تثمر لتحصد بعد

شفق: أمرك عجيب

همت شفق بالرحيل ولكن شعرت وكأن جسدها قد خدر

شفق: ما الذي فعلته بجسدي؟ لمَ لا أستطيع الحراك؟

الزهراء: عندما يظهر آخر قمر أحمر سآتي لحصاد ثمرتي

شفق: آخر قمر أحمر؟

الزهراء: كما سمعتِ

شفق بفضول: ما الذي تعلمينه عن القمر الأحمر؟

الزهراء: قمر مشؤوم

شفق: لماذا؟

الزهراء: لماذا أخبرك؟

شفق: يجب أن أعرف

الزهراء: لماذا؟

شفق: لأنني حلمت بثلاثة أقمار حمراء

الزهراء: أمر مثير

شفق: لا أرى أي دهشة تعلو ملامحك فهل تعلمين أيضاً

بمَ أحلم؟

الزهراء: أرى وأسمع كل شيء

شفق: كيف لك أن تعلمي كل شيء؟

الزهراء: أرى ما لا ترين وأسمع ما لا تسمعين وأفقه ما لا تفقهين

شفق: إذاً ما سر السبعة الأجساد المعلقة؟

الزهراء: أنتِ من يجب عليه حله

شفق: ألم تقولي لتوك إنك تعلمين كل شيء؟

الزهراء: أمر قلته وحقّاً قصدته

شفق: أخبريني حالاً أيتها الزهراء

الزهراء: حلقة تعاد وتكرر، آجلة غير عاجلة، هي بين كل ماضٍ وحاضر

ثم نظرت إليها بهدوء مخيف وابتسامة باردة لم تخفِ بها مكرها ثم أكملت: قد انتهى وقتي معك يا ابنة القمر

وفي لمح البصر وجدت شفق نفسها واقفة حيث رأت الزهراء لأول مرة في أزقة عدن ولكنها لم تجد أي أثر لها أو لدكانها، لوهلة ظنت كما لو كانت كالحلم فأخذت تسأل المارة عنها تصف شكلها ولكنهم أجمعوا أنهم لا يعرفونها ولم يروها مطلقاً، فأخذت تتساءل أكان حلماً أم واقعاً، عاهدت نفسها أن تجد تلك المرأة الملقبة بالزهراء، انتبهت

شفق لاقتراب الشمس من مغيبها

بصدمة قالت: لم أخرج إلا بعد أن أشرقت الشمس، ولم أطل حديثي مع تلك المرأة فأين كنت طيلة النهار؟!

سقطت أمام شفق وردة ذات بتلات سوداء من العدم علق على ساقها ورقة، التقطتها شفق وقرأت ما كتب بداخلها لتُجَن:

«عهد صعب وتحقيقه مستحيل، إلى الملتقى يا ابنة القمر»

تيقنت حينها شفق أنها لم تكن تحلم ثم قامت برمي الورقة وسارت غاضبة تجاه المتجر قبل أن يغلق أبوابه

الحرمة الأولى

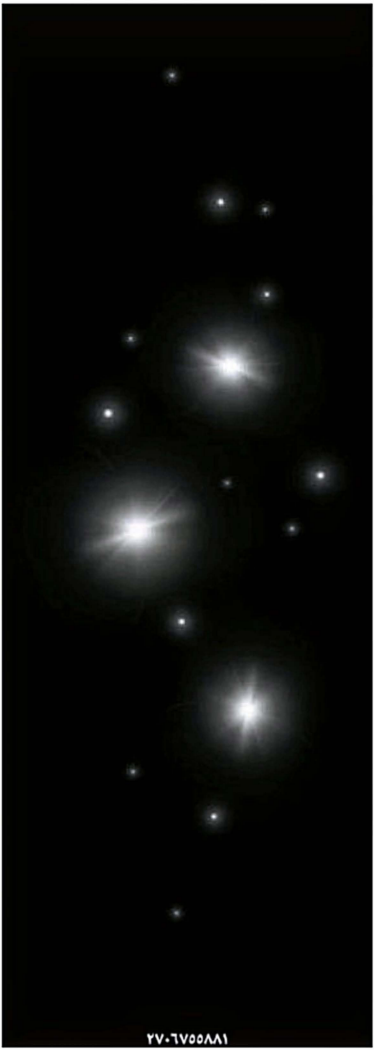
۲۷۰۶۷۵۵۸۸۱

مع ساعات الفجر الأولى، انتشرت أسراب الطيور محلقة على التلال منها من تصطاد فريستها ومنها من ترفرف بأجنحتها مهللة ببداية يوم جديد

استيقظ فزعاً من نومه وأخذ يلتفت يمنة ويسرة، وبأنفاس ثقيلة أخذ يتحسس حوليه ربما ليطمئن قلبه وفجأة سقطت عصاه محدثة جلبة أربكته، شعر وكأن قلبه قد انتزع من مستقره، انحنى ليلتقطها من الأرض ثم اعتدل بجلسته وهم بالخروج من حجرته

اقترب من الحجرة الأخرى ثم طرق الباب مرتين، لم يأته أي رد فقرر الدخول إليها ثم قال

: استيقظ يا بني قد أشرقت الشمس

الصبي: ليس الآن أيها الحكيم لا أزال أشعر بالنعاس

الحكيم: لن نملك الوقت للتخييم إن لم تستيقظ الآن

استيقظ الصبي بعينين لامعتين وقفز من سريره وخرج من حجرته إلى الحكيم وقال بكل حماس: هل سنغادر الآن أيها الحكيم؟

الحكيم: إن انتهيت من إعداد حاجياتك

الصبي بحماس: في الحال

أسرع الصبي بترتيب حاجياتهما وبدأ بتنظيمها في الحقائب، بينما كان الحكيم يعد إفطاراً خفيفاً لهما قبل الرحيل

الصبي: لقد انتهيت أيها الحكيم من ترتيب حاجيات رحلتنا

ابتسم الحكيم: أحسنت، اقترب إذاً لنتناول الطعام ثم نرحل

الصبي بعبوس: لا وقت لدينا للأكل

الحكيم: أنهِ طعامك بسرعة حتى لا نتأخر

الصبي بتململ: حسناً

لم يمر وقت طويل حتى أنهى الاثنان طعامهما وهما بالرحيل إلى أعالي الجبال في رحلة يكررانها بين الحين والآخر.

أثناء سيرهما كان الصبي يمسك يد الحكيم لكيلا يتعثر في منحنيات الطريق

ردد الصبي: أيها الحكيم، أريد سماع قصة أثناء سيرنا

الحكيم: ما الذي تود سماعه؟

الصبي: هم دعني أفكر

الحكيم: تريد أن تفكر إذاً؟

الصبي: أجل، فأنا من سيسمع القصة

ضحك الحكيم ثم قال: إذاً ماذا قررت يا سيدي؟

الصبي وعيناه تنظران إلى الأعلى: تستطيع أن تقول

مولاي بدلاً عن سيدي أيها الحكيم، لقد قررت: أريد سماع قصة آدم وجميلة التي أخبرتني عنها

الحكيم: لم يحن موعد قصتهما بعد

عبس الصبي ثم قال: لماذا؟ لقد أخبرتني من قبل أنك ستقصها علي لاحقاً

الحكيم: أعلم ماذا أخبرتك ولكن لم يحن الوقت بعد

الصبي: ماذا ستخبرني إذاً؟

الحكيم: الحرمة الأولى

الصبي: ما الذي تقصده بالحرمة الأولى؟

الحكيم: أقصد بها الجريمة الأولى التي حدثت بعد أن خلق آدم

اتسعت عينا الصبي ثم قال: أخبرني بها

الحكيم: حدثت هذه القصة في جنة عدن فبعد أن طرد الشيطان من الجنة بسبب تكبره، كان قد سكنها آدم هو وزوجته حواء وقيل إنه حرم عليهما أكل ثمرة ولكنهما مع الأسف الشديد قد استجاب الاثنان لمدى الإغراء الحاصل، فكل ممنوع مرغوب

الصبي: كيف ذلك؟

الحكيم: رغم نعيم الجنة ومتاعها، ورغم الأنهار الجارية بها والثمار التي لم ترَها عين من قبل، رغم الكمال إلا أننا

نحن البشر نشتهي كل ما لا نستطيع امتلاكه، نبتغي كل ممنوع منع عنّا ونرى فيه لذة وما من لذة بالأمر إلا أنها قد زينت في أنفسنا

الصبي: لم أفهم ما ترمي إليه أيها الحكيم

الحكيم: هناك العديد من الأقوال التي حكيت منذ قديم الزمان، أولها أنه قد وسوس الشيطان لهما وزين لهما أكل تلك الثمرة المحرمة، ورغم أن أبناء الجن لا يستطيعون الدخول إليها لأن الجنة تحرس من قبل سكان السماء، قيل إن شيطاناً قد دخل في جوف ثعبان ليستطيع الدخول إلى آدم وحواء

الصبي: وماذا حدث بعدها؟

الحكيم: قد أكل آدم وحواء من تلك الثمرة، وأُنزلا إلى الأرض التي نحن بها، ولكنْ هناك قصص أخرى لما حدث عند تلك الشجرة

الصبي: ما هي؟

الحكيم: قيل إن هوية الشيطان الذي وسوس لهما، هي أنثى واسمها هو ليليث وهي إحدى بنات عزازيل الشيطان الذي طرد من الجنة

الصبي: ليليث؟

الحكيم: وإنها منذ فعلتها أصبحت مدللة بسبب انتقامها له، ولكن هي مجرد أقاويل ولا نعلم أين هي الحقيقة، هناك

قصتان أيضاً

الصبي: يا لهذه القصص العديدة عن أبينا آدم

الحكيم: معك حق ورغم اختلافاتها إلا أنها أجمعت على شيء واحد

الصبي: أنهما أكلا من الثمرة المحرمة

الحكيم: أحسنت، على أي حال القصة الأولى وهي أضعفها تقول إن ليليث هي زوجة آدم الأولى ولكنها تركته لأنها أحبت الشيطان عزازيل، فشكا آدم حاله للإله ثم أرسل عدداً من سكان السماء خلفها حتى يعيدوها إليه لكنها أبت، فلعنت وقيل إنهم توعدوا بقتل مئة ابن تنجبه من عزازيل، ومنذ ذلك اليوم تعهدت على نفسها أن تخطف الصغار من نسل آدم وتلتهمهم أحياء، وتغوي الرجال لتضلهم عن الطريق بفعلهم الفاحشة معها

الصبي: يا لها من قصة مرعبة

الحكيم: لكنها أضعفها، وإنني أميل إلى آخر قصة ألا وهي أنه لم يوسوس لهما الشيطان بأكل تلك الثمرة، إنما نفسهما الأمارة بالسوء

الصبي: ما هي النفس الآمرة بالسوء؟

الحكيم: ما تزيد رغبتك الجامحة بفعل وارتكاب كل ممنوع ومحرم

الصبي: كيف إذاً أفرق بينهما؟

الحكيم: كل فعل آثم ناجم عن نفس آمرة بالسوء وإن كان به وسوسة

الصبي: تقصد أننا لن نفعل الإثم ما لم نرده؟

الحكيم: أجل، لذا عليك أن تتعلم كيف تجاهد نفسك الآمرة بالسوء فهي مهلكة

الصبي: علمني أيها الحكيم

الحكيم: لا تقلق، سأعلمك يوماً ما

الصبي: أظن أننا وصلنا

الحكيم: حقّاً؟

الصبي: أجل، أشم رائحة طيبة أيها الحكيم

الحكيم: رائحة الربيع

الصبي: معك حق

الحكيم: لنضع حملنا هنا ثم انصب خيمتنا

الصبي: أمرك أيها الحكيم

- بعد أن انتهى الصبي من جمع الحطب قام بوضعه بعضه فوق بعض في المنتصف ثم بدأ بإشعال النار ليضيء المكان ويدفئ الجو قليلاً مع غروب الشمس

الصبي: أشعر بالجوع أيها الحكيم

الحكيم: أحضرت معنا القليل من الطعام تناول منه ما

تشتهي

تناول الصبي بنهم شديد بينما استرخى الحكيم على ظهره ورفع رأسه للسماء وكأن من يراه يقول إن هذا الرجل يتأمل السماء وليس بأعمى

الحكيم: إن تمعنت يا بني في السماء فسترى علماً لا يفقهه الناس

رفع الصبي رأسه بعدم استيعاب ثم قال بفم ممتلئ: لا أرى سوى بضع نجوم تلمع في السماء، ثم انهمك يكمل طعامه

الحكيم: تمعن أكثر وسترى كينونة السماء، فكلما أمعنت النظر بها رأيت العديد من الأمور والخبايا

الصبي: لكني أيها الحكيم لا أجد شيئاً لافتاً

الحكيم: تلك النجوم التي تراها هي بقايا ضوء نجوم ضخمة، قد انفجرت منذ سنين ولكن لبعد المسافات بيننا وبينها تظن وكأنها لا تزال تشتعل خارج هذه الأرض الواسعة

الصبي بلا مبالاة: ولكن كيف علمت كل هذا؟

الحكيم: أخبرتك: تمعن أكثر وسترى

نظر الصبي باهتمام وبتمعن أكثر، ومر وقت طويل ساد فيه الهدوء

الصبي: لم أرَ شيئاً أيها الحكيم

ضحك الحكيم ثم قال: كان هناك بالسماء اثنا عشر نجماً متصافة بشكل متعرج ترمز لعشائر بابل الاثنتي عشرة، ست منهم عشائر ملكية ونجومها أكبر من الست الأخريات، فالأخريات ست عشائر نبيلة

الصبي: لماذا النجوم تحديداً أيها الحكيم؟

الحكيم: لما تخفيه من عجائب

الصبي: لكن أيها الحكيم لا أرى سوى ثلاث نجوم كبيرة

الحكيم: لأن هناك ثلاث عشائر ملكية قد سقطت

الصبي: هل علمت كل هذا من النجوم؟

الحكيم: أخبرتك: بها علم لا يفقهه الناس

بينما كان يتأمل الصبي السماء بكل انبهار دار في ذهنه أمر ما فقال متردداً

: أيها الحكيم تبادر إلى ذهني سؤال أخشى أن لا يسرك

الحكيم: لا بأس أخبرني بما يجول في ذهنك

الصبي: ماذا فعل بنو الجن كي تنتهي سيادتهم على الأرض؟

حسناً سأخبرك بما حل بهم ولكن اقترب مني أكثر

الصبي: لماذا؟

الحكيم: هم يأتون لكل من يتحدث عنهم بأي حديث كان

الصبي: اقشعر جسدي

الحكيم: لا بد أنهم قد حضروا قبل أن نبدأ بالحديث عنهم، لذا اخفض صوتك فنحن في العراء

الصبي: ماذا سيحدث لنا إن اجتمعوا من حولنا؟

الحكيم: قد يلتهمون أحشاءنا

الصبي بقلق: يا إلهي! أيها الحكيم يجب أن لا نتحدث عنهم الآن

ضحك الحكيم ثم قال: إنني أمازحك، لا تقلق فلا أحد يستطيع الاقتراب منا

الصبي: ما هذا المزاح أيها الحكيم؟ كاد قلبي أن يخرج من مكانه!

الحكيم: نحن بأمان ما دمنا داخل الأسوار

الصبي: هل أنت متيقن؟

الحكيم: وهل كذبت عليك من قبل؟

الصبي: لا أعلم قد بدأت أشكك في كلامك

ابتسم الحكيم ثم قال: أنصت لهذه الحكاية لأنها ليست

كأي حكاية، فلم أقصص عليك من قبل مثلها، فهذه الحكاية هي كالهاوية التي أفنت بعض الجن ودمرت أرضهم وأعلنت فسادهم الذي لم يغتفر.

المحاكمة

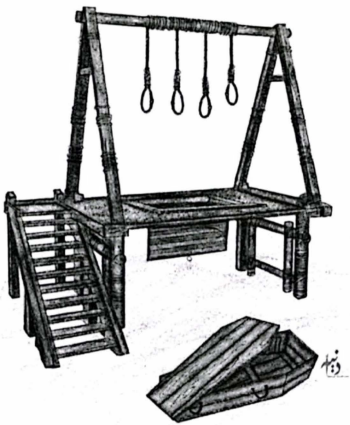

شائعة تدور غير مبالية لا يمنعها حاجز ولا عائق، أمر فظيع قد حدث ومؤامرة ما حيكت، أثر فادح قد تُرك وبقايا لن يغتفر لها، وصل صداها إلى أعالي السماء وبات يرددها جميع الأهالي:

«أمر فظيع قد حدث»

«مؤامرة قد حيكت»

«غيمة مظلمة أطلت»

«محاكمة تلوح بالأفق»

«عدالة مظلوم تُنتظر»

«وويل لكل ظالم»

- في عشيرة الأسد

: سيدي

السيد: ماذا تريد يا وجمان

وجمان: أمر فظيع قد حدث

السيد: ما هو؟

وجمان: قد تكرر الأمر الذي حدث منذ عشرين عاماً

- في عشيرة الجوزاء

: سيدي هناك أمر طارئ

السيد: ألا ترى أنني في خضم أمر مهم؟!

: ولكنه أمر طارئ يا سيدي

السيد: ما الأمر يا عامر؟

عامر: مؤامرة قد حيكت وأثر فظيع قد ترك

السيد: ماذا تقصد؟

عامر: الحلقة تعاد وتكرر

- في عشيرة العقرب

: سيدي صابر

السيد صابر: ما الأمر يا هيدب؟

هيدب: شائعة تدور وغيمة مظلمة قد أطلت

السيد صابر: ماذا تقصد؟

هيدب: هناك بقايا لمظلوم قد تركت

السيد صابر: هذا أمر لن يغتفر له

- في عشيرة الحمل

: سيدتي أعتذر عن مقاطعتي إياك

السيدة: إنني في اجتماع مهم يا سليم، فلتؤجل حديثك لوقت آخر

سليم: ولكنه شيء لا يؤجل

السيدة: كل شيء يؤجل

سليم: ليس إن كان بيننا مجرم

عقدت السيدة حاجبيها: ماذا تقصد؟ عن أي مجرم تتحدث؟

سليم: سيدتي هناك محاكمة تلوح بالأفق

- في عشيرة السرطان

: سيدتي الجميع في هلع

السيدة: دعهم يا غليم

غليم: لكن إن زاد الهلع وتشاحنت الأجواء فسيخرجون عن السيطرة

السيدة: فليدخلوا إذاً

دخل الجميع ومعالم الفزع على وجوههم، رجفة على أطرافهم يكاد الغضب يعمي أبصارهم فيطلق عاصفة، تدمر كل ما أمامهم

أحدهم: أخبرينا يا سيدة ثراء، هل هذا صحيح؟

السيدة ثراء: أجل

آخر: لن نسكت هذه المرة

غليم: اهدؤوا جميعاً فحالنا واحد

السيدة ثراء بكل برود: عدالة مظلومنا تُنتظر

- في عشيرة العذراء

: مولاي، مصيبة قد حلت علينا

الملك: ما الأمر يا جيهان؟

جيهان: قد وصلت شائعة لأعالي السماء

الملك: ما هو صدى هذه الشائعة؟

جيهان: أن هناك ظالماً ومظلوماً

الملك: ويل لكل ظالم

غربت الشمس تاركةً البابليين في ضيق، تحديداً العشائر الملكية منهم فكانوا في خطر، جميعهم مرتبكون وكلٌّ يخشى على نفسه وعشيرته من أن يخسف بها، تلك الليلة كانت من أطول الليالي بل أطولها، نسيمها بارد على عكس الليالي الماضية، في تلك الليلة حدثت أمور عديدة في الخفاء، والمحاكمة توشك على البدء

حضر الجميع إلى قاعة الملك وكان التوتر سيد المكان، ورغم برودة المكان إلا أنهم جميعهم كانوا يحترقون خشية من الداخل تعرقت أجسادهم دون أي عامل خارجي، كما لو كانوا يبذلون جهداً أو يركضون، إلا أن الضغط النفسي لا ينتصر عليه العامل الخارجي وعلى ما يفعله بجسد المرء

فتح باب الملك ليدخل بكل شموخ وكبرياء حمل تجاعيد السنين على وجهه لتزيد من وقاره، فتتساءل عما يحمله رجل مثله من حكم ودروس للحياة ومما مر به، وحروبه

التي خرج منها منتصراً في الحياة، جلس الملك وقاص على عرشه ثم نقل بصره بين العشائر الملكية الست وترتيبهم كلًّا حسب قوة عشيرته

فالأول: العذراء

الثاني: الجوزاء

الثالث: الأسد

الرابع: العقرب

الخامس: الحمل

السادس: السرطان

الملك وقاص: جمعتم اليوم بشأن شائعة ما قد تنوقلت بينكم ووصل صداها لمسمعي، وليلتنا السابقة كانت أطول لياليا فلا تنافسها ليالي الشتاء، على أي حال أين هو المظلوم؟

تقدمت السيدة ثراء ومن خلفها ستة من رجالها يحملون جسد المظلوم داخل تابوت خشبي، ثم وضعوه أمام عرش الملك وعادوا للخلف لتبقى السيدة بجانب جثة ابنها

الملك وقاص: نتقدم بخالص التعازي وأسفنا يا سيدة ثراء على ما أصاب ابنك، أعدك أنني سأقتص من قاتله

سيدة ثراء: قُبل عزاؤك يا مولاي

أدارت السيدة ثراء ظهرها وعادت إلى حيث تقف

عشيرتها وبجانب ابنتيها

الملك وقاص: ما ترون أمامكم هو فعل مشين من قاتل جبان، قد أمرت أتباعي من الجن أن يتقصوا الأمر وإنني أعلم أنكم جميعكم موهوبون بالسحر، فكثير منكم قد يستعملون التعاويذ والحواجز لكيلا يسمحوا لأحد من أبناء الجن أن يستشعر وجودكم

أكمل الملك بعد أن زفر أنفاسه: على أي حال عاد أتباعي بأدلة تعود لبعضكم والقاتل الحقيقي يملك أحد هذه الأدلة

تقدم ساعد الملك شعيب وقال بأعلى صوته:

وشاح يعود للسيد بشير من عشيرة الأسد وقد وجد في مكان حدوث الجريمة

وسام يعود للسيد عديل من عشيرة العقرب وقد وجد على مقربة من موقع الجريمة

ربطة شعر تعود للآنسة أزاهير من عشيرة الحمل وقد وجدت بين ثياب الجثة

- ضجيج حدث بين جميع العشائر اعتراضاً على ما حدث فمن كان يظن أن يشتبه بثلاثة أشخاص، جميع السادة كانوا يدافعون باستماتة عن عشائرهم ويرمون الملامة بعضهم على بعض، لم يكن هدفهم العثور على القاتل وأخذ عدالة القتيل بل الإطاحة ببعضهم بعضاً، ثم الارتقاء في الرتب على حساب القتيل

ذلك هو مدى جشع الإنسان، ذلك هو مدى طمع الإنسان وذلك الحد الذي سيتجاوزه ابن آدم حتى يصل لمبتغاه ولو كان ظلماً أو على حساب مظلوم

أكمل ساعد الملك وقال: أما عن المشتبه الرابع فهو جاثم من عشيرة الجوزاء وقد وجدت قطعة قماش من عباءته على مقربة من موقع الجريمة

الملك وقاص: هؤلاء هم المشتبه بهم

اندهش الجميع من أعداد المشتبه بهم ولكن يبقى السؤال المهم ألا وهو من القاتل الحقيقي بينهم؟

زاد توتر الجميع إلا عشيرتي العذراء والسرطان، وأما عن حال المشتبه بهم فكان لا يوصف

بشير: «لم أظن أن هذا اليوم قد يأتي إنها لعنة قد حلت علي»

عديل: «لوهلة تمنيت لو أكون مكان القتيل»

أزاهير: « تمنيت لو تشق الأرض وتبتلعني»

جاثم: «شعرت بوخزة في قلبي وكأن حالي من حال القتيل»

الملك وقاص: نظراً للالتباس الحاصل وكثرة المشتبه بهم فلن يكون هناك محاكمة اليوم، وستؤجل إلى حين معرفة القاتل الحقيقي من بينهم، لذا انصرفوا جميعاً والمشتبه بهم كذلك

السيدة ثراء بامتعاض: مولاي، لماذا تسمح لهم بالمغادرة؟ فأحدهم هو القاتل وسيكون حرّاً ليكمل جرائمه الشنيعة!

الملك وقاص: يبقى المتهم بريئاً حتى تثبت إدانته

عقدت السيدة ثراء حاجبيها ثم قالت بعدم رضاً: أمرك يا مولاي

غادر الجميع محملين بهم عظيم فاقتربت أربع عشائر ملكية من الهاوية، وإحداها توشك على السقوط

ساعد الملك: لماذا تركتهم يعودون يا مولاي؟

الملك وقاص: الحوائط تسمع والريح تنقل الأحاديث من بين التجاويف لأعالي السماء، ولن نعلم هوية القاتل إلا من تلك الأحاديث التي ستقال وتنقل بينهم

ساعد الملك: إذاً أرسلت أتباعك قبل أن يغادروا؟

الملك وقاص: حتى لا يشعر بهم أحد من السحرة الماهرين، كما ترى يا شعيب فقد تحركت بعض العشائر الملكية في الليلة الماضية وزرع بعضهم الأدلة على بعض لتلفق التهم على بعضهم بالباطل

شعيب: إذاً هل يعقل أن القاتل ليس أحداً منهم؟

الملك وقاص: لن نعرف حتى نرى ونسمع ما يجري بينهم

إفاقة وعد

بعد أن اختفى آخر خيوط أشعة الشمس، ورغم حلول الليل إلا أن الوقت كان مبكراً لأن ينام الناس في هذا الوقت، على الرغم من ذلك عم السكون أرجاء القرية الصغيرة في وبار، ريح باردة وهدوء مخيف أرجفا قلبه، هبطت الغربان على أعالي البيوت الطينية تحملق به بأعينها الحمراء، رغم أنه قد اعتاد وجودهم إلا أنه لا يزال يشعر بالرهبة منهم كلما رأى أحدهم، أخذ ينادي بقلق على أهل القرية ولم يتلقَّ أي رد، ركض بين البيوت وهو يكرر نداءه عليهم ويطرق أبواب منازلهم، لكن ما من مجيب ردد في نفسه:

«ما الذي أصاب أهل القرية؟»

«أيعقل أنني السبب فيما حدث؟»

«أهو بسبب أهل الوادي؟!»

بخوف قال: جميلة!

أسرع لمنزلها واختلس النظر من نافذتها ولكنه لم يجدها على فراشها، دخل منها وأخذ ينادي بينما يبحث عنها في أرجاء منزله: جميلة، أين أنتِ؟

حمل في نفسه أملاً بسيطاً أن تكون ليليث محقة بشأن المشروب الذي قامت بإعطائه، لربما أنه قد أدى مفعوله عليها وأنها قد استيقظت وتبحث عن أهلها مثلما هو بحث عن أهل قريته

أثناء بحثه في أرجاء المنزل لاحظ أن الغربان هبطت على جميع نوافذ المنزل كما لو كانت تشهد أمراً ما حدث بداخله أو أوشك على أن يحدث، توقف للحظات بعد ما أدرك أن الغربان لم تكن تحدق به بل بشيء ما خلفه، توسعت بؤرتا عينيه مستذكراً أن تلك الغربان لا تجتمع إلا حين تكون ليليث بالجوار، شتمها بداخله وأدار ظهره ليخرج كامل غضبه عليها ولكنه صدم

خفق قلبه بجنون، سرت رعشة غريبة في جميع أنحاء جسده وقال برجفة حتى سقطت الدموع من عينيه

آدم: جميلة، وأخيراً استيقظت!

جميلة بذهن مشوش: ما الذي تقصده؟ ولم أنت بحال يرثى لها؟!

سقط آدم على ركبتيه

لم تفهم جميلة ما أصابه ثم اقتربت منه وجلست بجانبه تربت عليه وتقول بلطف: هل اشتقت لي لهذا الحد؟

قام آدم بضمها وقال بحرقة:

كنت أموت في كل ليلة شوقاً لأجلك

كنت مجنوناً يسير باحثاً عن وجهتك

كنت أسيراً قد سجن بعيداً عن وطنك

كنت ظمئاً ووددت أن أرتوي برؤيتك

جميلة باستحياء:

ها قد وجدت وجهتك

ها قد عدت لموطنك

ها قد ارتوى ظمؤك

آدم: إياك أن تتركيني مجدداً

جميلة: أعدك أنني لن أفعل، أخبرني إذاً ما الذي أصابك

آدم: سهام حبك هي ما أصابتني

جميلة: ما بك يا آدم قد كنا معاً بالأمس

آدم: كلا يا جميلة، قد غبتِ عن وعيك لشهور عدة حتى أنني فقدت الأمل بعودتك، فقدت لذة يومي وسعة صدري، فقدت سبب سعادتي وراحة بالي، حتى أنني كدت أن أقفز إلى أسفل الوادي لربما نجتمع في عالم آخر أو بحياة أخرى

صدمت جميلة من حديث آدم حتى فقدت القدرة على الحديث

نظر آدم في عيني جميلة ثم قال: أعتذر لأنني صدمتك بهذا الخبر وأثقلت كاهلك وأنت قد استيقظتِ لتوك، وربما ذهنك لا يزال مشوشاً

جميلة: لقد فعلتها إذاً النواحة

آدم: النواحة؟

جميلة: هي امرأة تتراءى في أحلامي منذ الصغر، ترتدي رداء أبيض وتغطي وجهها بقماش أبيض شفاف، وكلما زارتني في حلمي كانت تنوح ولا تنطق بحرف واحد، وبالأمس قبل أن آتي لمنزلك أتت وتحدثت معي لأول مرة وقالت: «ستقتلين من أقرب الناس إليك ثم قالت إن الحب هو عذابي وقاتلي الحقيقي»

صمت آدم ولم ينطق بشيء

جميلة: ما أمر هذه العلامة التي برقبتك؟

آدم: لا أعلم استيقظت ووجدتها هنا

جميلة: دائرة مثالية سوداء اللون

آدم: حقّاً؟، ردد في نفسه: «أهذه هي علامة الملكية التي تركتها لليث؟»

قطع حديثهما عندما فتح باب المنزل وصدر صوت حديث والدي جميلة، اطمأن قلبه عندما سمع صوتيهما وقد تيقن أن ليليث قد أنقذتهم جميعاً من أهل الوادي

مهيرة: سأذهب لحجرة جميلة وأطمئن عليها

نصير: حسناً

باغتهما صوت جميلة وهي تقول: أمي، أبي أنا هنا

أسرع والدا جميلة إليها وصدما عند رؤيتها، هرعت مهيرة وضمت ابنتها الى حضنها وهي تبكي

بينهما وقف نصير يتأمل ابنته وجسدها النحيل بسبب سوء تغذيتها، تسللت الدموع من عينيه ثم اقترب من زوجته وابنته وبدأ يقبل رأسها ثم قال

: عدت إلينا أخيراً!

مهيرة: آه يا عزيزتي كم افتقدت رائحتك وكم افتقدت نبرة صوتك وجمال ابتسامتك

جميلة: قد عدت إليكم الآن

تأمل آدم حالهم واكتفى بالابتسام حتى بادله نصير بنظرات باردة، علم حينها آدم أن نصير لم يرق له وجوده حول جميلة وأنه سيكون بينهما جدالٌ حاد

جميلة: كفاكما الآن، أشعر بجوع شديد وغريب

همت مهيرة بالوقوف وقالت وابتسامتها تشق وجنتيها: سأعد لك كل ما لذ وطاب

همت مهيرة بالذهاب الى المطبخ ولحقت بها جميلة ليبقى نصير وآدم، لم يلحظ أحدٌ سواهما مدى توتر الجو بينهما، رمق نصير آدم بنظرات حادة وخرج عن صمته عندما قال

: ألم أخبرك أن تبتعد عن ابنتي؟

آدم مدافعاً: حاولت أيها العم ولكنني لم أقوَ على البعد عمن هَوِيَها قلبي

نصير: ظننت أننا فرغنا من هذا الحديث الفارغ يا آدم

آدم: لم أفهمك حينها أيها العم وتركتك وشأنك إلى أن تستيقظ جميلة، والآن لا شيء يهم يكفي أنها قد استيقظت

نصير: أتقول إذاً إنك ستتركها وشأنها؟

آدم: كلا، سأدع الأمر لجميلة وهي من ستحدد إن كانت تريد فسخ خطوبتنا أم لا

نصير: أ..

توقف نصير عن الحديث عندما أقبلت جميلة تحادثهما

: ماذا تنتظران؟ أمي تحضر لنا طعاماً شهيّاً

نصير: سآتي حالاً

ثم رمق آدم بنظرة وعيد وقال: كان آدم يستأذنني بالرحيل لأنه متعب بعد نهاره الطويل

جميلة بشيء من الحزن: كلا يا آدم ابق معي ولو قليلاً

نظر آدم إلى نصير الذي كان يحدق به بكره غريب ثم قال

: أظن أنني سآتي إليك غداً لترتاحي قليلاً اليوم

جميلة: ولكن

نصير مقاطعاً: قد واجه آدم وجميعنا وقتاً عصيباً، فقد مات سامر اليوم

جميلة بذهول: سامر؟، ولكن كيف مات

آدم: لا تفجع قلبها بهذا الخبر أيها العم فلم تستيقظ إلا توّاً

نصير: ألم تقل لتوك إنك مغادر؟

آدم: فعلاً، عن إذنكم

لاحظت جميلة مدى توتر العلاقة بينهما وقالت مدافعة

: كلا يا أبي سيبقى آدم

نصير بغيظ: جميلة هذا ليس وقتاً مناسباً للعناد

آدم: جميلة لا تقلقي بشأني سأزورك غداً، أعدك

جميلة: هذا أمر ...

لم تكمل جميلة جملتها حتى شعرت بألم في رأسها وسقطت تصرخ من شدته،

هم آدم ونصير إليها بفزع وقلق، وخوف ورعب، آملين ألا تعود لسباتها

جميلة: رأسي يؤلمني بشدة

لاحظ آدم أن حدقتي عينيها قد تحولتا لبياض فعلم أن شيئاً ما يحدث

آدم: عم نصير انظر إلى عينيها

انتبه نصير لعينيها وملكته الدهشة ثم قال: تماسكي وإياك أن تعودي لسباتك

جميلة وسط ألمها ودموعها: لا أرى شيئاً يا أبي، ما الذي يحدث لي؟!

قدمت مهيرة عند سماعها لأصواتهم، ولم تتمالك نفسها عند رؤية ابنتها متألمة انكسر قلبها وحطم فؤادها وقالت بأسىً: لماذا لا يزال العالم يقسو عليك؟!

فجأة اختفى الصداع وعادت عيناها لوضعها الطبيعي ولمع شيء في عينيها لم يلاحظه أحد

آدم: هل أنت بخير يا جميلة؟

جميلة: أظن ذلك، لا أعلم ماذا أصابني

نصير: هل أنت واثقة يا ابنتي؟

جميلة: أجل يا أبي

مهيرة: لا تجعليني أقلق عليك

جميلة: أعتذر يا أمي

مهيرة بحنان: قد حضرت الطعام لنذهب ونأكل جميعاً، أنت أيضاً معنا يا آدم

نظرت جميلة لآدم نظرة حماس فوافق آدم على الفور مما أزعج نصير

- بعد أن انتهى الجميع من طعامهم قالت جميلة بكل حماس

: أمي، أبي أظن أنني لم أعد أريد أن أطيل فترة خطبتي

من آدم

مهيرة: ماذا تقصدين؟

اكتفى نصير بالصمت

جميلة بحياء: أود أن أتم زفافنا

نصير معارضاً: لست موافقاً يا جميلة

مهيرة باستغراب: ما بك يا عزيزي؟

نصير: لا أظن أن آدم مناسب لجميلة

مهيرة: ما هذا الكلام الغريب، ولماذا لم تعد تراه مناسباً؟

نصير: أمر وقد قُضي

جميلة: أبي، أنا أحب آدم وأريد أن أكمل بقية عمري إلى جانبه، أرجوك لا تحرمني منه

نصير: كفى يا جميلة قد فسخت خطبتكما منذ أن كنت في سباتك

مهيرة: ما الذي تقوله يا نصير؟

جميلة: هذا ليس قراراً تتخذه بالنيابة عني يا أبي

نصير: أمر قد انتهى يا جميلة

بقي آدم مندهشاً من جميلة وتغيرها المفاجئ

جميلة بغضب صاحبته رجفة في جسدها: سأتزوج آدم ولن أتزوج رجلاً غيره

ما أن أنهت جملتها حتى سقطت أرضاً تصارع ألمها الذي عاد متكرراً برأسها فتقلبت عيناها مجدداً

هرعت مهيرة تمسك بابنتها وتقول: لا بأس عليك يا ابنتي

أراد آدم أن يقترب منها ولكن نظرات التهديد من نصير منعته، هذه المرة استمر الألم لمدة أطول من المرة الأولى ثم اختفى وعادت عيناها لوضعهما الطبيعي ثم أخذت تمسح دموع عينيها ونظرت لأبيها بحزن وقالت

: أريده يا أبي

نظرت مهيرة لزوجها بعتاب ثم قالت: إن لم توافق لا أعلم ما الذي قد يصيبها لاحقاً

استسلم نصير ثم قال: كما تريدان

وغادر المكان

اقترب آدم من جميلة وقال: سأبقى بجانبك إلى أن تجف عروق جسدي

ضحكت جميلة وسط حزنها وقالت على استحياء: وأنا كذلك لن أتركك ما حييت يا آدم

حرب الجبابرة

في جهة مظلمة وكئيبة لا يتعاقب فيها الليل والنهار، لا تشرق شمس فيها ولا تغيب، لا قمر فيها ولا نجوم، فقط غيوم حالكة السواد وصواعق تضرب في الأرجاء، ضباب يكاد يحجب الرؤية عن الأفق البعيد

في تلك الجهة توشك حرب على البدء، وفتنة جديدة على الأرض بين أبناء الجن، إلا أن سبب انقسامهم هو حنين نحو أرضهم الأولى والتي أصبحت تحت سيادة أبناء آدم، رغبة جامحة بإعادة امتلاكها فبظنهم أنهم هم الأحق بها

في أعلى التلة اصطفت جيوش الملوك الثلاثة الغيلان، المردة والعفاريت في حلف جديد، وفي الجهة المقابلة لهم، الشياطين وملكهم فقط

خرجت بحافل من الشياطين أمام مملكتهم دفاعاً عنها، وخرج أخيراً من ظلمته وجبروته ليظهر لأول مرة أمام الملأ بعد حربه الأولى التي شنها ضد آدم وأبنائه، وخرج منها خاسراً بعد ما هزموا

مشى بهيبته وضخامته وعزته، تنحى جميع الشياطين سامحين لملكهم بالمرور من بينهم، حتى يترأسهم جميعاً ورغم أعداد الشياطين الهائلة الا أن أقوام وقبائل الشياطين ما زالت تأتي من جميع بقاع الأرض دفاعاً عن ملكهم ومملكتهم، بينما اصطف سبعة شياطين أعلى أسوار المملكة دون أي حركة أو مشاركة منهم في الحرب

ملك الشياطين بصوتٍ جهوري: قدمتم لمملكتي متحالفين

جبناً طامعين بما ليس حقّاً لكم، وقد نفد صبري منكم

ملك المردة عزام: أتينا للحق ولا الظلم بيننا برفيق

ملك الغيلان جلمود: اليوم ينتهي جشعك يا عزازيل

ملك الشياطين عزازيل: طردت من عدن ولعنت لحين قيام الساعة، سميت إبليس بين أبناء آدم فمن أنت لتنهي جشعي يا جلمود؟ قد انتهى عزكم منذ أن قتل جدك جبروت وما أنت سوى أضحوكة يسمي نفسه ملكاً

ملك العفاريت جامح: كفاك استنقاصاً وتجبراً يا عزازيل والدم بالدم

- بدأت المعركة وتناطحت الجيوش فيما بينها، هشمت الأجساد وتناثرت الأعضاء ففي تلك المعركة كان البقاء فيها للأقوى والنصر حليفه، والمراد بوابة تربط بين جهتين لا أكثر، مراد بسيط ولولا الحنين لجهتهم لما تقاتلوا فيما بينهم

رغم أن أعداد الحلف كانت أكثر من الشياطين إلا أن الشياطين كانت أكثر منهم تنوعاً لتتكافأ الجبهتان

هاجم عزازيل مندفعاً يبطش بكل من يقع أمامه وكان من خلفه ليليث وميرديث، وحيدس ولكن انشغلت ليليث بمجابهة أحد المردة الذي اقترب منها عنوة لتخرج عن مسارها القتالي، فتحدث فجوة بصفوف القتال فيأتي الشيطان أعور لسدها

ذعر بين الغيلان بسبب اندفاع عزازيل تجاههم والذي كان يفصل رأس كل غول عن جسده دون أدنى مجهود أو مشقة، اندفع جلمود تجاهه وهذا ما كان يطمح إليه عزازيل، التقت نظراتهما وحدث أمر غريب، إذ خفت المكان من حولهما فلا يرى أحد منهما سوى الآخر لا صوت قتال ولا صرخات موت، كأنهما فقدا جميع حواسهما تجاه العالم إلا منهما، وأصبح الأمر إما أن أُقتَل أو أَقتُل، دارت بينهما مواجهة قوية زلزلت الأرض من تحتهما فكان عزازيل بحجم جلمود نفسه مما جعل المواجهة بينهما مَهيبة، ولم يجرؤ أي مخلوق على الاقتراب منهما بسبب قتالهما المرعب، ولا حتى الملكان الباقيان

تقدُّمُ الملكين تجاه الشياطين ومن خلفهما العديد من أتباعهما جعل من الصعب على الشياطين مقاتلتهم، التحمت الجيوش في مواجهة دامية وكان توازن القوى بينهم غريباً، خسر فيها الطرفان العديد من الأرواح وفي لحظات قليلة تغلغل الحلف بين الشياطين محدثين ربكة شتتت الشياطين مما أضعف دفاعاتهم وأصبحوا أسهل في القتل

تقاتل الملكان عزازيل وجلمود بأقصى قوتهما، معركة رهيبة دارت بينهما، فتبادل الاثنان لكمات مدوية وعنيفة تلقاها عزازيل أولاً ولكنه سرعان ما سدد لكمة نحو جلمود ليتراجع خطوات للخلف على إثرها، وبخفة حمل عزازيل صخرة بيديه وما أن اقترب من جلمود حتى ضربه

بها ليسقط أرضاً

ابتسم عزازيل بسخرية تجاهه ثم اقترب منه وأحكم قبضته على رقبته، كانت الدنيا تدور بعيني جلمود وما أن شعر بقبضة عزازيل على رقبته حتى دافع عن نفسه بقوة، ليرد الضربة ذاتها لعزازيل لكنها كانت أخف عليه إذ كان جلمود مشوش الرؤية

نهض الاثنان وتناطحا مجدداً سدد جلمود ضربة عنيفة تجاه فك عزازيل السفلي، ليتراجع للخلف فاقداً التوازن، اقتنص جلمود تلك اللحظة ليسرع تجاه عزازيل فينطحه بقرنيه أرضاً، ويبدأ بتسديد لكمات عديدة

قتلت ليليث المارد في لحظات قليلة ولكنها لم تعد لمكانها وأكملت الحرب منفردة دون أن تتلقى أي عون، قتلت العديد من العفاريت ثم المردة، وما أن أوشكت على قتل أحد العفاريت حتى تلقت هجمة مباغتة من قبل غول ضخم، ثم حملها بيده وأوشك على أن يمزق جسدها

الغول: حان موعد موتك يا ابنة عزازيل

ميرديث بفزع: ليليث!

وصل صدى صوت ميرديث لمسامع الجميع بمن فيهم عزازيل الذي عادت له حواسه عندما علم أن مدللته في خطر

مرت اللحظة ثقيلة على الشياطين كلٌّ ينتظر مكتوف

اليدين أن تلقى ليليث مصرعها على يد هذا الغول الضخم، أحكم الغول قبضته عليها واحترق عزازيل غاضباً محاولاً أن يقضي على جلمود بأسرع ما يمكن، ولو انتقاماً لموت ليليث

يد غريبة اخترقت جسد الغول ليسقط مغشياً عليه، وسط ذهول الجميع ودهشتهم من ذلك الشيطان الذي استطاع إسقاط غول ضخم بقبضته، ما زاد تعجبهم أنه كان مغفلاً وأكثر الشياطين غباءً، متوسط الطول عريض المنكبين ويمتلك خمسة قرون برأسه، يعرف باسم جحرش

شيء ما به كان غريباً وكأنه تحول لتنقلب شخصيته، مستوحشاً قد جسدت فيه قوة وتركيز عالٍ وبات يقتل كل من يكون أمامه بسرعة رهيبة وفي لمح البصر، لقب في تلك المعركة بذي الوجهين بعد ما شاع صيته بين الجميع

اشتدت الشياطين وباتت تقاوم الحلف بكل قوتها ثم فجأة اهتزت الأرض وظهرت الزوابع بين صفوف الحلف، وفي الوقت ذاته وصل حينها أقوى قبائل الجن والذين يسمون بالأباطيل، هم قبيلة مجينة بين جميع فصائل الجن بسبب تزاوج الأنواع بين بعضها وبعض، لينتج مخلوق يجمع أغلب صفات الجن في جسد واحد، ولهذا أصبحوا أقوى القبائل وهم قبيلة مذمومة ومنبوذة من جميع الممالك والملوك إلا الملك عزازيل فكان هو الوحيد الذي يرحب بهم دوماً

معركة رهيبة وأقل ما يقال عنها أنها كانت من أبشع

المعارك، راح ضحيتها العديد من الجبهتين ولكن قدوم الزوابع والأباطيل نتج عنه نفور الحلف وسقوط العديد منهم قتلى وجرحى، ورغم ذلك لا تزال المواجهة مستمرة بقوة بين الطرفين

ملك المردة عزام: تلك المواجهة مخيفة وأخشى أن يلقى جلمود مصرعه بها

ملك العفاريت جامح: ما يزعجني حقّاً هو تزامن قدوم القبيلتين معاً

ملك المردة عزام: إن سقط جلمود فسنخسر مصدر قوة الغيلان عندما يصبحون بلا ملك يحاربون لأجله

ملك العفاريت جامح: لن يسقط جلمود ثق بكلامي

ملك المردة عزام: من أين لك بهذه الثقة؟!

ملك العفاريت جامح: هو يعلم جيداً إن لم نفز بهذه المعركة الآن فلن نستطيع استرداد البوابة ولو بعد ألف سنة

كانت تلك الجملة كافية أن تشد من عزيمة الملك عزام

- هجمت الأباطيل بقوة تجاه الحلف حتى أوشكت الشياطين أن تنتصر بهذه الحرب لولا تدخل الملكين لردع هجومهم الشرس ومن خلفهما أقوى الأتباع والغيلان، احتدت المواجهة بينهم وسرعان ما تدخلت الزوابع وانضمت بجانب الأباطيل في النزاع، حتى أن الملك عزام أوشك على أن يُقتل

دافع عزازيل عن نفسه بركل جلمود بقوة ونهض ثائراً كبركان تفجر لتوه، اندفع نحو جلمود بكل قوته وحاول تسديد لكمة لولا أن تلاقت لكمته بلكمة جلمود لتتهشم مفاصل يديهما وتجرح أجسادهما، تصاعدت الأبخرة منهما وسرعان ما اختفت عندما التأمت جراحهما لكن المفاصل لم تشفَ بعد، تبادلا النظرات للحظات ثم هجما بعضهما على بعض مجدداً

عض عزازيل على ساعد جلمود بقوة ليشق جسده ويكسر عظمه، تراجع عزازيل للخلف ثم بصق بقايا ساعد جلمود وابتسم بشر

جلمود: بالخبث إذاً

عزازيل: هذه حقيقتنا

ورغم ضرر جلمود الكبير إلا أنه هجم بأقوى ما يملك بيده الأخرى نحو الجهة اليسرى من رأس عزازيل، ليتهشم فكه ويتصاعد الدخان منه

كان بحرش يقاتل وحيداً بكل جنون وكانت لليث من خلفه تراقبه حتى تضمن نجاته وألا ينقلب هذا الوجه العابس عليه فيقتل على حين غفلة، وكل هذا بعد ما أنقذ حياتها

انزعج عزازيل بعد ما طالت المواجهة بينهما وصرخ شاداً انتباه الجميع إليه وقال بينما يفور غضباً

: اثنين من السبعة!

جملة أرعبت الشياطين فلم يحدث أن طلب أحداً من السبعة، وهؤلاء السبعة هم أقوى سبعة جنود في مملكة الشياطين وأكثرهم رعباً، قد وهبوا من دم عزازيل لتزداد قوتهم وشراهتهم للقتل، ولا ينصاعون لأمر أحدٍ سوى عزازيل إلا إن قام باستثناء

رددت ليليث: اثنين دفعة واحدة؟!

تحرك اثنان من السبعة المصطفين في أعلى أسوار المملكة وخرجا بهدوء تجاه ساحة المعركة، واسماهما كانا «الثالوث والمامون».

: عزيزي القارئ، إن كنت تقرأ هذا الكتاب من موقع إلكتروني أو برنامج أو على شكل كتاب مطبوع، فتأكد من أنك تقرأ كتاب مسروق وليس لمن أخذه الحق في ذلك.

: هذه النسخة مجانية بشكل كامل على قناة ضاد في تطبيق تيليجرام. فتأكد من أنك مشترك فالقناة وتحمل الكتاب منها. أعتذر على المقاطعة، قراءة ممتعة.

المآل

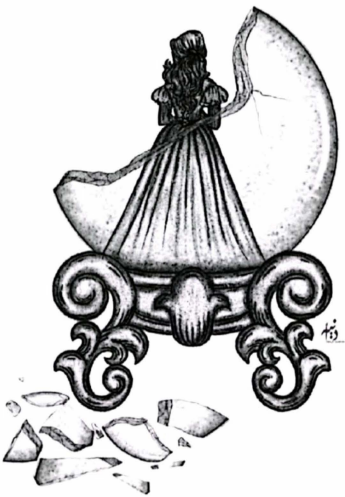

في أزقة عدن المظلمة والأشد شؤماً حيث يحتشد هناك دوماً المجرمون والفاقدون لوعيهم ودينهم، وباعة المخدر زاعمين أنها الطريق إلى جنة عدن في الأرض، زقاق انتشر فيه رائحة عفن، جرذان وحشرات وصياح فتيات تسلب كرامتهن، سارت إحداهن بوقار وهيبة لا مثيل لهما حيث إن كل مجرم ومتعاطٍ وبائع كان يفسح لها المجال للمرور، وحيث ينقطع صوتهم إثر خشيتهم منها وتحديداً مما تملكه من قوة خلف جسدها النحيل والناعم، كانت ترتدي رداء أسودَ كشف عن نصف ظهرها ليبرز ما حمله جسدها من علامات تحكي لحظات قاسية، قد بدلت حالها وأثلجت قلبها ليصبح خالياً من أي شعور، يرافقها حارس ضخم وفتاة ذات شعر كستنائي مجعد، ساروا إلى نهاية الطريق حتى اختفوا في إحدى البنايات

: ما الأمر المستعجل الذي أردتما إخباري به؟

ذات الشعر الكستنائي: لقد سقط الملك

ببرود: جيد لقد تشبث بالحياة أكثر من اللازم على غير فائدة

الحارس: قد توجت امرأة كملكة عدن الأولى

دون أن تتغير ملامح وجهها قالت: شيء غريب، ومن تكون هذه المرأة؟

الحارس: عيناها تلمعان بالحمرة وشعرها كسواد الليل، قيل أيضاً إن لها أتباعاً من العالم الآخر

ذات الشعر الكستنائي: أجل وبعضهم يقول إنها ساحرة وتتعامل بالسحر الأسود

بابتسامة باردة قالت: خرجت أخيراً من جحرها وظهرت للعالم

قال الاثنان باندهاش: هل تعلمين من تكون؟

: أجل، هي هجينة واسمها ريجينا

ذات الشعر الكستنائي: كيف تعلمين من هي يا آنستي؟

: حلمت بها كثيراً ولسنين طويلة حتى ظننت أنني لن ألتقي بها إلا من خلال أحلامي

ذات الشعر الكستنائي: يا لموهبتك العظيمة يا آنستي!

الحارس: وماذا الآن؟ كيف ستلتقين بها وهي محاطة بأفراد العالم الآخر؟

: هي من ستأتي إلي يا وليم، غادرا الآن أنت ووصال وأخبرا الغجر أن يتجهزوا لحفلة اليوم في ماخور السيد شاهين

: أمرك

ما أن غادر الاثنان حتى مدت يدها إلى نحرها تقلب في قلادتها ثم مسحتها، ليظهر من العدم صاحبها

: مضى وقت طويل لم تطلبيني حتى آتي لرؤيتك يا شفق

شفق: لم يكن في نيتي أن أسمح لك برؤيتي دون حاجة يا هائج

هائج بضيق: أما زلتِ تحمليني مسؤولية ما حدث؟!

شفق: أمر قد قضي، أما عن حاجتي لرؤيتك فهي فقط لأخبرك أن ملك عدن قد مات مقتولاً على يد الملكة الجديدة ريجينا

هائج: أعلم ذلك فقد انتشر صداها بين العالمين «هجينة يتبعها الظلال»

شفق: ما العمل الآن؟

هائج: توخي الحذر في هذه الفترة

شفق: لماذا؟

هائج: سيطمع الجميع بها وبما لديها، وهناك من سيشن الحرب ضدها عاجلاً

شفق: اقتربت عدن من السقوط إذاً

هائج: ربما ولكن توقعي حدوث أي شيء

شفق: وماذا بشأن الملك؟

هائج: ما أمره؟

شفق: قد انتظرنا سنينَ حتى سقط ملك وخلال أربع سنوات لم يحدث شيءٌ منذ أن حلمت بالجسد الذي سقط التاج منه وتدلى رأسه

هائج: معك حق، ربما هو الملك عدنان صاحب الجسد الرابع

شفق: ما الرابط بينهما إذاً؟

هائج: ريجينا

شفق: هل أنت واثق؟

هائج: ألم تحلمي قبل مغادرتك للجزيرة بـ «سقط تاج ذهبي ليرتطم بالأرض من رأس رجل فتبعه اهتزاز جدران شاهقة الارتفاع، ثم تدحرج التاج بعد ارتطامه وتوقف عندما اصطدم بأقدام فتاة غريبة لتتزايد اهتزازات الجدران ومع إمساك الفتاة للتاج ولبسه انقلب حال الجدران لسواد بسكون تام حتى غرست أيدٍ غريبة من خلف ظهرها لتستوي الجدران بالأرض»؟

شفق: فعلاً لقد نسيت هذا الحلم إذاً حلمت بسقوط عدن قبل أن آتي

هائج: ربما الحوائط لها معنىً آخر يكفي أننا اقتربنا كفاية من معنى حلمك

شفق: إن كان الملك عدنان أوسطهم فمن هم الذين من قبله؟

هائج: هذا ما يجب أن نتحرى بشأنه، ولن أقدر على فعلها لا بد من وجود شخص آخر

شفق: فهمت، على أي حالٍ أود القليل من أتباعك أريد أن أغادر لعدة ليالٍ ثم أعود إلى عدن عندما تستقر أوضاعها، ثم سننظر في أمر الهجينة

هائج: كلا! يجب أن تبقي هنا لقرب عدن من المحيط وهذا سينفع أتباعي، أيضاً كي تبقي عدوك على مقربة من عينيك

شفق: إذاً أرسل جنودك في أُقرب وقت

هائج: أهناك أمر آخر تودينني فيه؟

شفق: لمَ لا تزال تأتي رغم طريقتي السيئة في التعامل معك؟

هائج:

أرضى بقليلك فنظرة منك تبهجني

وصوتك يطربني وحديث معك يذيب قلبي

سأنتظر إلى أن يلين قلبك

ويسمح لخصلات شعرك أن تظل قلبي

ويهدأ شوقي بعناق وجنتيك

شفق: قد يطول انتظارك كثيراً فمن كانت ترتمي بأحضانك وتحتمي بظلك قد ماتت ودفنت منذ أعوام

هائج:

إنني أراها

في ملامح وجهك

لحناً في صوتك

كلمة في حديثك

بريقاً في عينيك

شفق: غادر يا هائج

هائج بأسىً: كما تريدين يا ساكنة قلبي

غادر هائج وبقيت وحيدة في ظلمة قد صنعتها لحبس نفسي بها، متعمدة سد أي ضوء يتخلل فيها، ورد أي عون قد مد ليقتلعني من هذا الوحل الذي رميت نفسي فيه ومن قوقعة خانقة، قد بهت وجهي وأصبحت خالية من الحياة فلم يعد بقلبي أي مشاعر، لا شيء لم أعد أملك شيئاً ثميناً، فكل زهرة كانت تنمو في نفسي وكل بسمة كانت تشع في وجهي قد محيت تماماً، تحققت من الإحكام على أحاسيسي المرهفة وكبتها في جهة لا تستطيع منها العودة إلا بكسر القيود وذوبان الجليد الذي شكل على قلبي، فلا مكان في هذه الحياة لرقيقي القلب حيث الأقوى هو من ينتصر دوماً

- طرق الباب مرتين ثم صدر صوت من خلفه

: أنا رهاد

شفق: ادخلي يا رهاد

رهاد: لقد طلبت الملكة حضوري إلى قلعتها

ابتسمت شفق ثم قالت بمكر: كدت أن أحيك لها مكيدة فأرسل إحداكن خادمة لها، لكنها قد شقت عني نصف الطريق

رهاد: لماذا؟

شفق: لا شأن لكِ، على أي حال أخبريها دوماً ما تود سماعه، واذكري لها أنك قد رأيتها في حلم من الأحلام

رهاد: كما تأمرين

شفق: لن أصفح عنك هذه المرة إن فشلتِ وسأذيقك أشد مما ذقته سابقاً

برهبة وكبرياء منكسر: لن أخيب ظنك

شفق ببرود: سنرى

- بعد مرور يوم على نتويج ريجينا كملكة عدن، خرجت شفق وبرفقتها حارسها وليم ومساعدتها وصال بعد ما سمعت نواح وصرخات العديد من الناس، صدمت عندما رأت العديد منهم يهمون بالرحيل عن عدن، أمر عجيب أثار فضولها ولكن ما استوقفها هو مدى جنونهم، تصادم الناس بعضهم على بعض فمنهم من يحاول جمع طعام وكأنه لن يرى الطعام مجدداً، ومنهم من يبحث عن ملجأ يحتمي به، حينها أدركت شفق ما الذي يجري من حولها وما هو

سبب فزع أبناء وبنات عدن

وصال بشيء من الخوف: ما الذي يجري؟ ماذا أصاب الشعب؟

أحد العامة صارخاً: ستهلك عدن

وليم: لا علم لي ولكني سأحادث أحدهم لأفهم ما يجري

شفق: لا داعي لذلك

وليم: ولم؟

شفق ببرود: هناك حرب تلوح بالأفق وجيش في طريقهم إلينا، ويبقى السؤال الأهم: من أي مملكة هم قادمون؟

وصال بتوتر وهلع: هذا مخيف ما الذي سيحدث لنا؟

وليم: هدئي من روعك يا وصال سنكون على ما يرام، يجب أن نلحق بالناس ونغادر معهم عن عدن

شفق: لن يغادر أحد، ولا تقلقا فهذه الحرب ستحسم لمصلحة المملكة الجديدة

وليم: وكيف ذلك؟

شفق: إن أطلقت الظلال طبعاً

وليم بدهشة: هل تملك المملكة قوة الظلال؟

وصال: ما هي الظلال؟

شفق: أجل، لذلك المغفل هو من يستهين بها

وصال: ولكن ما هي الظلال؟

وليم: أقوى كتب السحر ولكنه لا يحتوي على أي أسحار إنما يحتوي على إحدى قبائل الجن الأقوياء

شفق: بل أقواهم جميعاً

وليم: ما الذي سيحدث إن لم تطلقهم؟!

شفق: لم تكتسبهم لتحافظ عليهم، غير ذلك هي أصبحت ملكة منذ يوم فقط فلا ولاء لها من الجيش، وإن حدث ووهبوها ولاءهم بمعجزة ما فمن سيواجهها غالباً سيملك سحرة بين صفوفه، فهي الآن لا تملك خياراً سوى أن تستعمل ظلالها في الحرب حتى وإن كان لها أتباع من الشياطين، فهم لا يقارنون بما قد يملكه أعداؤها

وليم: كيف لك أن تحللي هذا كله وبعدد ما يملكه أعداؤها؟

شفق: يعلم العدو جيداً أن الملكة تمتلك الظلال لذا لن يقدم على هذه الحرب دون امتلاكه على الأقل نصف جيشه أن يكونوا سحرة، هذا إن لم يكونوا جميعهم سحرة

وصال: من بظنك عدونا يا سيدتي؟

شفق: أميل إلى أن يكونوا معارضين بابليين، مصر تعاني

بعد ما خسرت العديد من جنودها في الحرب التي شنتها ضد الكوش، والكوش كذلك لم تشفَ بعد من تلك الحرب

وصال: ربما معك حق

أكملت شفق: ولن تطمح دولة كندة بعدن الآن بل ستنتظر حتى توشك على السقوط لتستلمها على طبق من ذهب دون أي جهد أو تعب، أيضاً لا تزال آشور تتخبط داخلياً لذا هي أضعف الاحتمالات

وليم: صدقتِ

وصال: لنأمل أن تصمد عدن في وجه هذه الموجة

وليم: لا تقلقي ستصمد

شفق: إن لم تحدث أي مفاجآت وعقبات لا علم لنا بأمرها

نظر كل منهما إلى شفق بعدم ارتياح من كلامها آملين ألا يحدث شيء يخل بكفة فوز ملكتهم

- أكملوا طريقهم إلى ماخور السيد شاهين، طرق وليم الباب ثم فتح من قبل إحدى فتياته

الفتاة: ماذا تريدون؟

وليم: أين سيدك؟

الفتاة بحزم: مشغول

وليم: نريد الحديث مع سيدك

الفتاة: سيدي لا يريد استقبال أحد ألا تفهمُ؟!

شفق بحدة: إن لم تفسحي المجال لنا للدخول لا أعلم حقّاً كيف أود أن أذيق جسدك ألماً لم تقاسيه من قبل!

توترت الفتاة وأدركت من تكون هذه المرأة ذات الشعر المائل للبياض وقالت برجفة لم تخفها: اتبعوني

دخل الجميع الماخور وقد كان على غير عادته فلا حياة به ولا صخب، لا زبائن ولا موسيقى، ولا فتيات يتمايلن في الأرجاء وبالتأكيد لا أحاديث رجال مزعجة

استوقفتهم الفتاة ثم قالت: انتظروا هنا، سأبلغ السيد شاهين بقدومكم

ثم أدارت ظهرها ودخلت إلى غرفة سيدها، لم يمر وقت طويل حتى خرج السيد شاهين وعلت ملامح الانزعاج والضيقة على وجهه، لم يخلُ من العبوس وعدم الرضا والقلق

السيد شاهين: أهلاً بك آنسة شفق، بما أنك قد أتيتِ أردت إرسال رسالة لك قبل قليل لأخبرك أننا لن نحتاج فرقتك هذه الفترة، مع أخبار هذه الحرب لا يريد أحدٌ أن يأتي

شفق: لم آتِ إليك لهذا الشأن قد أرسلت الملكة طالبةً رهاد

شاهين: أمر غريب أن تطلبها الملكة، هل اقترفت أمراً ما؟

شفق: على العكس تماماً قد شاهدتها في الساحة الخارجية ترقص وربما أحبت مهارتها في الرقص، من يدري

شاهين بمكر: إذاً ما الذي أحضرك إلى هنا؟ فلا أظن أنكِ أتيتِ لتخبريني بقصة إحدى راقصاتك يا آنسة شفق

شفق بابتسامة باردة: سأدخل صلب الموضوع إنني أريد إحدى فتياتك، أريد فتاة تعرف جميع زوايا القصر وتعلم بكل منفذ ومخرج، بكل حصن وجحر، فتاة تسمع كل ما يدور دون أن تنبس بكلمة واحدة، ولا أجدني أستذكر سوى فتاتك زمرد عشيقة الملك عدنان السرية، التي تختبئ خلف زيها على أنها خادمة لئلا تُكشف

شاهين: أمرك صعب تنفيذه

شفق: سلمني إياها وسأهبك عشر فتيات غيرها، إنني أراها صفقة عادلة

شاهين بخبث: أريد حفلات بلا مقابل

شفق بحدة: لا تطمع أكثر واقبل ما عرضته عليك

شاهين: لا بأس سأقبل بها

شفق: أرسلها إلى مسكني لاحقاً

شاهين: لك ما أردتِ

شفق: لنغادر

قبيل مغادرتها دخلت إحدى الفتيات وهي تجر فتاة أخرى من شعرها، كانت صغيرة في العمر وتبكي بحرقة وألم، توقفت شفق تتأمل حالها

الفتاة: انظر إليها يا شاهين، تأبى الدخول مع زبون مهم

نظر شاهين إليها بحدة وقال: لماذا ترفضين أيتها الوضيعة؟

الفتاة: لا أريد البقاء هنا أريد أن أغادر

صفع شاهين الفتاة ثم قال بغضب: لقد دفعت لأهلك مبلغاً ليس بقليل مقابل جسدك أيتها الحرقاء

الفتاة بحرقة: سأرد لك المال فقط دعني أذهب أرجوك

شفق: ما الحكاية يا شاهين؟

شاهين: هذه بكر قد اشتريتها من ذويها قبل ليالٍ لجلب زبائن أكثر

شيء ما حرك مشاعر شفق المخبأة وأذاب جمود مشاعرها لتستذكر حالها وما أصابها قبل سنين عندما...

- قبل أربع سنوات

في منتصف الليل كانت تسير شفق عائدة إلى مسكنها حتى اعترض طريقها من قبل رجلين شديدي الضخامة، أثارا الرعب في نفسها

قال أحدهما: هل أنتِ من يطلقون عليها بياض الثلج؟

شفق بتلعثم: لا أعلم ربما

أكمل الآخر: أتينا بأمر من الغجرية الحمراء

شفق بتوتر: ما الذي تريدانه؟

ابتسم الاثنان وقالا: ما تحتفظين به

أرتعد جسد شفق وركضت دون أي تخطيط ودون أي وجهة فور أن شعرت بخطر جسيم، لحق الاثنان بها مسرعين

كانت تركض برعب وخوف، برجفة وتوتر بأعين دامعة تحاول من خلالها الفرار، ولكن أين المفر؟، أين الأمان؟ بمن تحتمي؟، هي في مملكة لا أحد هنا تعرفه حتى يعينها وينجدها، عثرت أثناء هروبها على جحر وقررت أن تختبئ فيه وتهدأ ثم تنتظر إلى أن يتركاها، وسط تخبطها تذكرت قلادتها وأخذت تمسح عليها طالبة النجدة من هائج

لكن طال انتظارها وهي تمسح عليها فأخذت تتمتم:

«أين أنت يا هائج؟»

«أنقذني أرجوك»

«أنا في أمس الحاجة إليك»

«لا تخذلني»

صدر صوت قريب منها لتكتم نفسها وتهدئ من روعها ولكن باغتها صاحب الصوت إذ ظهر ممسكاً بها قائلاً:

ظننت أنني لن أجدك، ثم أخرج ضحكة مقرفة

صرخت شفق بكل قوتها وهي تردد: دعني أذهب أرجوك!

الرجل: بعد أن نأخذ ما نريد

محاولات بائسة من شفق لتفلت من أيدي الرجل حتى نجحت بعد ما قضمت يده بشدة ليدفعها متألماً بعيداً عنه شاتماً إياها، لكنها بفعلتها هذه قد أثارت غضبه

ركضت شفق بسرعة وجنون وسط بكائها حاولت أن تستنجد بالكثير ولكن أبى الجميع أن يتدخلوا لمعرفتهم جيداً بهوية هذين الرجلين، دخلت أحد أزقة عدن المظلمة والأكثر بؤساً، متشبثة بآخر أمل لها ألا وهو قدماها متمنية ألا تخونها وبهستيرية قامت بالمسح على لؤلؤتها ليأتي منقذها، ولكن طال الوقت ولم يستجبْ لنجدتها رغم قوله: «امسحي على لؤلؤتك عندما تحتاجيني وسآتي إليك»، وبين دموعها قالت بصرخة:

«لا تخذلني يا هائج»

ظهر أحد الرجلين من أمامها وقال: أنت هنا إذاً يا بيضاء الثلج؟

صرخت شفق وعادت تركض بالاتجاه المعاكس ولكن كان الشخص الآخر متربصاً لها ضاحكاً أمامها بسخرية وقال: أين أنت يا هائج، أين أنت يا أميري؟!

ثم ضحك الاثنان وأمسكا بها بإحكام وبدأا بتمزيق ثيابها واشتمام رائحتها، وسط صرخاتها المتكررة ورجائها أن يأتي منقذها لنجدتها

في ذلك الزقاق تحديداً فقدت نفسي وخسرتها للأبد، في ذلك الزقاق خدش حيائي وسلبت كرامتي، مزق جسدي وشوهت أنوثتي، في ذلك اليوم قتلت مئة مرة والذي قتلني هو عبد مثلي بينما لو أتى الموت ليأخذ أمانته لكان أرحم بي من ابن آدم، دفنت نفسي وولدت من جديد حاقدة ساخطة على أبناء آدم والذكور أجمعين، منذ ذلك اليوم أعمى الغضب بصيرتي وأحكم قبضته علي، وأصبحت أقذر النساء أفعالاً وجرماً، فالعين بالعين والبادئ هو الأظلم

وشفق لم تعد شفق

يوم الحصاد

أشرقت الشمس ترحب ببداية يوم جديد ورغم بهائها المعتاد ودفئها في أيام الشتاء القارسة، إلا أن ذلك الشروق تحديداً لم يُنتظر، علقت آمال كبيرة على الملكة الجديدة لعدن، لم يكن ولاء لها أو محبة بل كان خوفاً على ديارهم وأهلهم

دقت طبول الحرب معلنة بدء سفك الدماء وبدء حصد أرواح لا تعد ولا تحصى، بداية يوم مشؤوم وفتنة عظيمة، وهزة أرض أولى

قسمت جيوش مملكة عدن إلى فرقتين، تسعون ألف رجل مهاجم حاملين السيوف والرماح، وتسعة آلاف رماة من أعلى الأسوار، وخمسون رجلاً حول خمس معدات ثقيلة «منجنيق»، كان الهدف من المعدات هو قصف صخور كبيرة نحو السحرة لقتل أكبر عدد منهم وإرباكهم، تفريق صفوفهم وتشتيتهم، صب تركيز ريجينا على سحر أسهم الرماة فما أن تصيب أحداً حتى يسقط صريعاً، وتارة ما تلقي تعويذات قاتلة لكل من تقع عيناها عليه

أما عن شياطينها فكانت الأقل عدداً حيث إنها لم تملك بصفها سوى حيدس وعزيف، وجحرش، مقارنة بأتباع السحرة المقاربة لمئتي ألف

بدأت المعركة بقوة من الطرفين فاندفع البشر نحو السحرة، كان جحرش أكثرهم اندفاعاً إذ يمشي ويقتل كل مارد أو شيطانٍ أو عفريتٍ يقف أمامه، كان مخيفاً لم يقوَ

أحد على إيقافه

أطلق السحرة وابلاً من النيران نحو الجيش ونحو أسوار عدن مستهدفين منها الرماة، سقط الكثير من الجنود قتلى وبدأت تحترق الأسوار، ويقتل حرقاً كل من تصيبه ألسنة اللهيب، أسرعت ريجينا بإنماد النار من خلفها ثم حاولت صد هجماتهم ولكنها كانت كثيرة العدد

أليرون: وابلٌ من النيران قادم احترسوا جميعاً

ورغم تفادي الغالبية للنيران إلا أنهم يلقون مصرعهم من الجن أتباع السحرة

بسيل: أغيد نحن في خطر أمام هذا الشيطان

أغيد بحقد: أعلم فهو أحدهم

جزلان وهو يحاول صد سهام الرماة: ماذا، هل أنت جاد فيما تقوله؟!

كيلان وهو يواجه أحد الجنود: لقد سمعت عنه كثيراً ولم أظن أننا سنضطر لمواجهة أحدٍ منهم

جزلان: يجب أن نوقفه وإلا فسنهلك ومن شيطان واحد

أرسل أغيد ستة من أقوى أتباعه نحو جحرش

بسيل: لن يكفي يا أغيد

أغيد: أعلم ذلك إنما أود أن ينشغل حتى نتخلص من مصدر الإزعاج

سرعان ما قتل الجنود من قبل خصوم غير مرئيين لهم، لاحظ حيدس ما يحدث لصفوف البشر فقد تعمد السحرة قتل الجنود سريعاً ليتخلصوا منهم، لأنهم كانوا مصدر تشتيت فيضطر السحرة إلى مواجهة المقاتلين بالسيف ويفقدون مهارة استخدامهم للسحر

حيدس: عزيف، جحرش عاوناني للدفاع عن الجيش فهم مستهدفون

عزيف: قادم

جحرش: لن أستطيع القدوم ولكنني سأحاول اللحاق بكما

حوصر جحرش من قبل ثلاثة شياطين وثلاثة مردة

قال عزيف مستهزئاً: أتريد عوني يا ذا القرون؟

جحرش بينما يقتل عفريتاً بيديه: أتريد أن أنطحك بقروني الخمسة؟

عزيف: يا ويلي إن جسدي يرتعد من شدة الخوف

حيدس مغتاظاً: كفا عن المزاح ألا تريان أننا ثلاثة شياطين ضد مئات منهم؟!

عزيف مدافعاً: جحرش عن مئة منهم أما أنا فعن مئتين وأنت عن واحد فقط!

حيدس بغضب: تحرك يا عزيف حالاً

عزيف وهو منغمس بقتل الشياطين والتلذذ بقتلهم قال:

عزيف البطل متوجه لحماية مصدر التشتيت

جحرش وهو يمزق مارداً: ألم نتعلموا بعد من آخر مواجهة دارت بيننا؟

الهول: كنا نجاملك قليلاً حتى ندرس تحركاتك القتالية يا ذا الوجهين

نائلة: سنرد لك الصاع بصاعين

ابتسم جحرش بابتسامة مخيفة ثم قال: لنرَ من منا المنتصر!

هجم جحرش بوحشية نحو الشيطان الثالث وسدد له لكمة قوية ليصاب بإصابة بليغة ويسقط، لكنه لم يستطع القضاء عليه إذ وجهت نائلة خصلات شعرها الحادة نحوه، تراجع جحرش للخلف وتلقى ضربة مؤلمة من الهول الذي باغته من الخلف

جحرش: تريد استخدام الخبث في قتالك أيها الجبان

الهول: راوغناك لا أكثر

جحرش: استعد إذاً لما هو آتٍ

توقع جحرش أن تباغته نائلة بهجوم غادر بعد أن اختفت من أمامه، ألقى بنظرة خاطفة ليجدها خلفه ويلكمها لكمة مؤلمة أسقطتها بعيداً، اندفع الهول بعد رؤيته لجسد نائلة نحو جحرش وتلاكما بقوة، حاول الهول أن يسقط جحرش أرضاً ويقضي عليه بسرعة إلا أن جحرش خصم لا يستهان به، نهضت نائلة واقتربت من خلف جحرش لتقضي عليه

بنصالها الحادة، لكن ظهر أمامها عزيف وصد ضربتها

عزيف: قد سألتك إن كنت تحتاج عوناً مني ولكن كبرياءك العالي رفض أيها الفاشل

عض أغيد على شفته وقال: سقط شيطان وقتل مارد!

بسيل: أخبرتك أنه لا جدوى إلا بإرسال أعداد أكبر

أغيد: لكنهم أقوياء رغم أنهم ثلاثة شياطين

جزلان: من ذاك الأشيب؟

بسيل: مستشار ملك الشياطين

جزلان: يا لها من هجينة مجنونة تضم أقوى الشياطين

كيلان بصرخة: قصف قادم، أعينوني في بناء حاجز سريع لصدهم

تعاون السحرة لصد القصف المتجه ناحيتهم وفتت لذرات اختلطت مع الرياح ورحلت كغبرة طفيفة

بسيل: يجب أن نقضي على الجيش البشري فتلك الهجينة تستخدمهم لأمر ما

أغيد: ماذا تقصد؟

أكمل بسيل: لا فائدة من الجنود أمام سحرة وجن، هي تحتاجهم لكسب المزيد من الوقت

جزلان منزعجاً: ومصدر لتشتيت انتباهنا

كيلان: موجة سهام قادمة احترسوا فتلك السهام مسحورة تقتل ما أن تصيب ولو بجرح بسيط

بسيل: اسمعوا جميعاً، يجب أن نقضي على الجنود استهدفوهم بأتباعكم

أغيد: من أنت حتى توجه هذا الأمر؟

بسيل: أغيد، إنها تحتاجهم لشيء ما ولن يكون في مصلحتنا الانتظار أكثر

أطلق الجميع جحافل من الأتباع تجاه البشر

كيلان: أطلق الشرارة الآن يا أغيد

أطلق أغيد شرارة حمراء تفجرت بالسماء وجذبت جميع الأنظار لها حتى اختفت

انتبه أليرون قائد الجيش الذي نصب من قبل ريجينا، للخسارة الفادحة في جيشه وتسلل هاجس في نفسه يخبره أن فائدته هو وجيشه تشتيت انتباه العدو نحوهم، ليتسنى لها ولأتباعها من الشياطين الإطاحة بهم، ورغم ذلك الهاجس الذي آذى قلبه إلا أنه لم يقوَ على خيانتها على الأقل ليس في هذه المعركة

صاح أحد الجنود قائلاً: شيءٌ ما قادم

انتبه الجميع إلى أن زملاءهم يمزقون لعدة أشلاء واحداً تلو الآخر بسرعة رهيبة، بدأ يتراجع الجميع هلعاً وخوفاً مما هو آتٍ

أليرون: عودوا لصفوفكم، لا فرار اليوم من الموت، والقتل مصير كل هارب

أحدهم: لا فائدة لنا ضد خلق يروننا ولا نراهم

أكمل أحدهم: ألا ترى أن أعداداً كبيرة من جنودنا قتلوا دون أي عناء أو جهد؟ تلك الملكة لا تأبه لأمرنا

أليرون: هي تملك خطة ولكنها تحتاج للمزيد من الوقت

أكمل الجندي: أخشى أن الوقت الذي تحتاجه مكلفٌ وضريبته...

لطخ أليرون بدماء الجندي إذ مزق بوحشية أمام ناظريه وانتشر الهلع بين الجنود وشتتت صفوفهم، لاحظت ريجينا الربكة بين جنودها وعلمت مصدرها فكانوا أعداداً هائلة من بني الجن

ألقت ريجينا بتعويذة هائلة وبدأت بقتلهم واحداً تلو الآخر مع مساعدة حيدس وعندما أوشكت على الاطمئنان إلى إنقاذ جنودها فوجئت بظهور عدد من السحرة داخل أسوار مملكتها، يقتلون كل رامٍ ومدافع وحامل للسلاح، لتبقى ريجينا هي وجيشها بلا دفاع ومحاصرين من جهتين

ريجينا: تباً لكم!

أكملت بأعلى صوتها وقالت: تراجعوا إلى داخل أسوار المملكة واقتلوا الجرذان المختبئة هناك

تلقت نائلة لكمة مؤلمة من عزيف واندفع بقوة ليقضي عليها، لكنها قفزت قفزة عالية ثم نزلت بكل قوتها على عزيف ليسقط متألماً، غرست خصلاتها الحادة في أنحاء متعددة من جسده، ليصرخ بقوة ويحرك ذيله بقوة تجاهها لكنها تراجعت للخلف حتى تتفاداها، نهض عزيف غاضباً تتصاعد الأبخرة من جسده

ثم قال: أتعلمين من أنا؟

نائلة: شيطون أخرق

ابتسم عزيف ثم تحور وانقض على نائلة في غمضة عين وبدأ بتمزيق جسدها بكل وحشية، قتل عزيف نائلة بعد مواجهة طويلة بينهما، أما عن جحرش فقد قضى على الجميع ليبقى الهول وحيداً

جحرش: حان موعد موتك فقد أمهلتك وقتاً طويلاً ولكنك أضعف مما توقعت

الهول: تباً لك يا ذا الوجهين!

اندفع جحرش تجاه الهول وفصل يده اليسرى عن جسده بسرعة خاطفة، صرخ الهول متألماً وتملكه غضب أعمى ليهتاج ويثور ويندفع باتجاه جحرش

نجح بإحداث فجوة في منتصف جوفه، ثم لكم وجهة بقوة بينما كان جحرش يتخبط من شدة اللكمات، وسدد الهول ضربة مدوية أسقطت جحرش أرضاً، نزل الهول

أرضاً واستمر يلكم وجه بجرش، مسك بجرش بفك الهول وقبض عليه بكل قوته

حاول الهول فك قبضة بجرش عنه لكنه كان أقوى منه، تهشم فكه ثم سقط الهول أرضاً، اقترب منه بجرش بينما شُفي جسده

قال له بجدة: بالمناسبة اسمي هو بجرش وأما عن ذي الوجهين فهو مجرد لقب

وفصل رأسه عن جسده وألقى به بعيداً وأكمل يقاتل بقية أتباع السحرة، بينما أسرع حيدس وعزيف مع الجنود إلى أسوار المملكة للقضاء على السحرة

شتت تركيز ريجينا عندما اقترب أغيد منها ومن خلفه أتباعه ليقضوا عليها، شعر أغيد باقتراب نصرهم وهو يلاحظ فقدان ريجينا وجيشها لمصدر القوة والتركيز، فلا سهامهم باتت تصيبهم ولا قصف صخر بات يخيف

صرخ حيدس عند رؤيته لريجينا تحاصر وقال

: الآن يا ريجينا

أغيد: إياكم أن تهلعوا، اقتربنا من نصرنا

ألقت بنظرة خاطفة وأخرجت خنجرها على عجل ولكن اهتزت الأرض من تحتهم، وظهرت زوابع عديدة من بين سحرة بابل، لم تكن بفعل الرياح بل من قبيلة الزوابع وهم أحد أقوام الشياطين

ابتسمت ريجينا وقالت: تأخرتِ كثيراً

ميرديث: أظن أنني أتيت في الوقت المناسب، إذاً ما الذي فاتني؟

ريجينا: الكثير

قتل العديد من سحرة بابل في لحظات وشهد أهل عدن لأول مرة شيئاً خارقاً للطبيعة، أعاصير ترابية عديدة تفجرت من الأرض

أليرون: هذه هي قوة الجن، ونحن لا حول لنا ولا قوة أمام سحرة فكيف لو آل الحال بنا واضطررنا لمواجهة جيش حقيقي منهم؟!

حاول بعض السحرة قتل الزوابع بإطلاق النيران عليها إلا أنهم تناسوا أن الجن خلقت من النار، ولا يقتلون منها لتصبح الزوابع ليست مجرد رياح بل أيضاً لهيباً ضارماً

قتل جميع السحرة الذين ظهروا من داخل عدن بمن فيهم زهرير، ورغم خروج جميع الزوابع من الأرض إلا أن الأرض ما زالت تهتز ويتزايد اهتزازها، سواد معتم يقترب رغم اقتراب انتصاف الشمس وشيئاً فشيئاً بدأت تضح معالمهم

ميرديث بهلع: ما الذي أتى بهم؟!

حيدس: هذا ليس وقتاً مناسباً

عزيف: سنهلك!

ريجينا: أتى ليرد الدين

أغيد: فلترحمنا الآلهة!

حيدس: ليحترس الجميع من ملك الغيلان وأعوانه

أحاديث الرياح

في حلكة الليل وفي ليلة باردة قد انضوى بها القمر سامحاً للنجوم أن تتلألأ دون أن يطغى ضوؤه عليها، وعلى أطراف بابل الشامخة بين النهرين وأسفل جسر كبير وقف رجل يرتدي عباءة ذات لون أسود، يكاد يختفي بها في سواد الليل الدامس، هز الرجل قدمه بقلق بينما كان ينتظر كمن ينتظر حكم إعدامه

تعرق جسده بينما يقضم أصابعه ويكاد أن ينهش لحمه من القلق حتى اقتربت منه امرأة تغطي جسدها بعباءة مماثلة لعباءة الرجل، وتخفي ملامح وجهها تحت لثام تاركة عينيها تتسللان منه

سمع الرجل صوت خطواتها ليدير ظهره ناحيتها حيث تقف، مخيفة تبث الرعب في النفس رغم أنها لم تكن سوى أنثى، بل هي أشد الإناث خبثاً في ظن هذا الرجل

المرأة بصوت بارد: أتيت اليك لغرضٍ ولأمر مهم، أنت تعلم جزءاً منه

الرجل: ماذا تريدين؟

المرأة: العدالة

الرجل: لكن!

المرأة: عدالة أخرى أيها الرجل

الرجل: لم أفهم إلى ماذا ترمين؟

المرأة: أنا متيقنة أنك تعلم بكل شيء

الرجل: ماذا تريدين إذاً؟

المرأة بتهديد: كلانا يعلم من القاتل لكن ما أسعى إليه هو العدالة لعشيرتي ولما كابدناه طيلة السنين الماضية

سارت المرأة بخطوات هادئة وبصمت حتى اقتربت كفاية من الرجل ومدت له سكيناً ملطخاً بالدم

نظر إليها الرجل وتردد في أخذ السكين حتى نطقت المرأة بقولها

: إياك أن تتردد

تناول السكين من يدها ثم نظر إليها بعينين جادتين وقال

: من؟

المرأة: ....

وهكذا افترق الاثنان في ظلمة الليل فلا ضوء كان كفيلاً بفضح أمرهما ولا سحر يقدر على كشف النوايا

- في عشيرة الأسد

اجتمع أفراد العشيرة في قاعة الاجتماع يحملون هماً عظيماً، وحتى ينظروا في أمر مصيبتهم التي حلت عليهم كالصاعقة

السيد باهر: هل هذا صحيح يا بشير؟

بشير بتوتر: لا يا سيدي صدقني لم أفعل!

السيد باهر بجزع: اصدقني القول حالاً فالأمر ليس منوطاً بك وحدك فمصير هذه العشيرة على عاتقك أنت

بشير: صدقني يا سيدي لم أفعل فرغم عيوبي إلا أنني لست بقاتل جبان

السيد باهر: فسر لنا إذاً سبب وجود وشاحك هناك

بشير: أنا نفسي لا أعلم!

أحدهم: هل لاحظت اختفاءه تلك الليلة؟

بشير: لا فهو لم يكن بحوزتي

السيد باهر: ماذا تقصد؟

بشير: لقد ضاع مني منذ عدة ليالٍ حتى أنني فقدت الأمل في إيجاده

السيد باهر: أنت تزيد من شكوكنا نحوك

بشير: كلا! صدقوني لست بقاتل

نظر بشير إلى أمه وأبيه ثم امتلأت عيناه بالدموع بعد ما لاحظ كسرتهما، اقترب منهما وجلس عند أقدامهما وقال بصوت مهزوز

: صدقاني لست بقاتل، لا تعذبا قلبي فيكفيني ما أصابني، أرجوكما ثقا بي ولو قليلاً

- عشيرة العقرب

في قاعة اجتماع أخرى

السيد: أخبرنا بما حدث

عديل: لم يحدث شيءٌ وهذا كله افتراء لا أكثر

السيد: هذه فرصتك إن أردت النجاة

والد عديل: أخبرنا لعلنا نحدث أمراً وندين بها لأحد آخر حتى نتحاشى هذه المصيبة

عديل بدفاع: لَمَ لا يصدقني أحد منكم؟، أخبرتكم توّاً أنني لم أفعل شيئاً

السيد: فسر لنا إذاً سبب وجود وسامك في موقع الجريمة

الأب: فعلاً، فأنت دائماً ما تحمله معك أين ما ذهبت ولا تخادعني بقولك إنك لا تعلم كيف وأين اختفى

عديل: كان بحوزتي حتى ما قبل الليلة الماضية عندما وضعته جانباً قبل منامي ولم أجده بعد ما استيقظت

الأب: كاذب ومخادع

السيد: انظر ما الذي فعلته بنا

عديل: أخبرتكم أنني بريء

الأب بكره تجاه ابنه: ليتني قتلتك بيدي قبل أن تخسف بنا!

عديل بحقد تجاه أبيه: ليتك فعلت!

- عشيرة الحمل

داخل أحد الأبراج الشاهقة الارتفاع وبين جدرانها تحركت الرياح إلى قاعة حيث كان أهلها مجتمعين بها

السيدة: هل حقّاً فعلتها يا أزاهير؟

أزاهير بتوتر: لم أفعلها يا سيدتي

السيدة: لماذا وجدت ربطة شعرك بالقرب منه؟

أزاهير: لا أعلم يا سيدتي

أحد ما: هل تعلمين حجم ما اقترفته يداك؟

الأب مدافعاً: قالت إنها لم تفعل يا نافق

نافق: لكنها لم تبرر فعلتها، ولماذا كل هذا التوتر إن كانت بريئة؟

نظر الجميع إليها ليرتجف جسدها وتطأطئ رأسها بينما تعرق جبينها

السيدة بحدة: من الأفضل لك أن تعترفي يا أزاهير

سقطت الدموع من عينيها وما عادت قدماها تحتملان الثقل الكبير على كاهلها لتسقط أرضاً، تبكي بحرقة وتقول من بين دموعها

: صدقوني،.. لا ذنب لي،.. أنا،.. لست بقاتلة

لكن لم يتعاطف الكثير معها

نافق: أخبرينا إذاً لماذا كانت ربطتك بالقرب من موقع الجريمة!

السيدة: كفى يا نافق

نافق: لا أثق بها يا سيدتي العبير

السيدة: تبقى بريئة حتى تثبت إدانتها

نظرت السيدة العبير لأتباعها في المجلس ثم قالت

: سننهي الاجتماع اليوم

- عشيرة الجوزاء

: ما الذي فعلته أيها المغفل؟

جاثم: أبي!، صدقني لم أفعلها

السيد بغيظ: لست أباك بل سيدك

جاثم: كما تريد يا سيدي

السيد: والآن أخبرني كيف تجرأت على فعلها؟

جاثم: أقسم لك بالآلهة العظيمة إنني لم أفعلها

اقترب السيد من ابنه وأحكم قبضتيه على قميصه ثم قال بنفور: كيف إذاً عثر على قطعة قماش من عباءتك؟!

جاثم: لا أعلم أقسم لك

السيد: أنت شخص وضيع ولست ابني

دفعه أرضاً ثم أخذ يتحرك يميناً وشمالاً بينما يتنفس بحرقة

أحد الأشخاص: أمهله وقتاً ليبرر ويشرح لك يا سيدي فربما يكون صادقاً ولم يفعلها

نظر الجميع للسيد الثائر وقال: التهمة يبقى أثرها ولو سقطت عنه وثبتت براءته

سهيل: لكنه وريثك يا سيد معان

السيد معان: ورثٌ غالٍ عليه ولا يستحقه وضيع مثله ولو كان من صلبي

نهض جاثم عن الأرض واكتفى بالصمت والنظر بحسرة تجاه أبيه الجشع ثم غادر المكان رغم اعتراض أبيه

: عد إلى هنا أيها المجرم

إلا أن جاثم أكمل سيره دون أن يعيره أي اهتمام

سار بخطوات هادئة نزولاً من برج عشيرته وإلى خارج الحدود الملكية نحو عامة الشعب والمعابد، قاصداً معبد الإله أوتو

اقترب جاثم من المعبد ثم فتح أحد أبوابه الكبيرة ودخل، كان معبداً كبيراً في منتصفه مجسم الإله ومن حوله حائط صغير الارتفاع للمحافظة على المجسم من أن يلوث أو أن يحدث به مكروه من اللمس، توجه جاثم بخطوات بطيئة حتى وصل إليه وتفاجأ حينها من وجود بشير وأزاهير

اقترب منهما ثم جثا على ركبتيه يستنجد بإله الشمس أوتو الحقَّ والعدالة فيما أصابه

شعر الثلاثة باقتراب أحد رابع غير رهبان وراهبات المعبد، وكان عديل الذي قال متفاجئاً

: لماذا أنتم هنا؟

نظروا إليه ثم قالت أزاهير

: ظُلمت

بشير: أدعو إلهنا بالعدل

جاثم: وأنت ماذا أحضرك؟

عديل: لأنني مظلوم

جاثم: إن كنّا جميعاً مظلومين فمن هو إذاً القاتل الحقيقي؟!

أزاهير: أقسم لكم بالآلهة الأم أنني لست القاتلة

عديل: وأنا كذلك

بشير: أنا أيضاً لست بمجرم

جاثم: من هو القاتل إذاً؟!

- مع غروب الشمس التالي والذي يحمل في طياته هموماً وجراحاً، تودع أعين كل من تعنى ليفتن ببديع منظرها مع الغروب، في أحد الأبراج الستة تلاقت عيناها الناعستان بقرص الشمس بينما انهمرت من عينيها الدموع، حسرة

وقهراً على مقتل أخيها وسندها الحنون في هذا العالم القاسي

رددت بحزن:

ودعت شمسي وتركتها تغيب ما حيلتي وهي من اختارت الرحيل

كفكفت عينيها بلطف ثم تأملت آخر خيوط أشعة الشمس لينعكس للحظات في عينيها ويكاد يقسم من يراها أن الشمس استنسخت لقرصين واستقرا في عينيها الناعستين، ظللتها رموش كثيفة ذات لون ذهبي وتدلت خصلات من شعرها الأشقر لتكتمل لوحة الخالق في حسنها

خطوات تقترب منها، ثم فتح باب الشرفة على مصراعيه

: مزدانة، ما الذي تفعلينه هنا؟!

مزدانة: إنني في حداد

: كلنا في حداد يا أختي العزيزة، والآن اتبعيني فالجميع في هلع بسببك

مزدانة: غريب، فقد ظننت أن لا أحد يأبه لأمري

: ما هذا الكلام الفارغ؟!

مزدانة: تعلمين أن كلامي صحيح وأظن أن الجميع تمنوا لو أنني كنت محل أخي

: هذا ليس وقتاً مناسباً

مزدانة: ولماذا؟

: اتبعيني حالاً يا مزدانة

مزدانة: سألحق بك بعد دقائق يا مرجانة

مرجانة بضيق بينما كانت تنظر لأختها بحزن، تنهدت ثم قالت: إياك أن تتأخري

ثم غادرت مرجانة والتي كانت لا تقل جمالاً عن أختها، إنما الاختلاف كان بلون شعرها الفاحم وعينيها الحادتين اللامعتين لخضرة الربيع

- بعد أن ارتدت السماء لونها الأسود وجملت النجوم رداءها، قررت مزدانة أن تعود أدراجها إلى مهجعها وهي تعلم أنها ستتلقى توبيخاً قاسياً كالعادة، ما أن سارت بين ممرات البرج ونزلت بعض السلالم حتى وصلت لمنزلهم، دلفت إليه قاصدة الذهاب إلى حجرتها ولكن أتاها ما كانت تتوقعه

: أيتها الفاسدة، ألم تأمرك أختك بالعودة؟!

مزدانة: بلى، ولكنني قررت تجاهلها

: يا لك من شقية وجالبة للحظ السيئ، ما الذي يجب علي فعله حتى أتخلص منك للأبد؟

مزدانة ببرود: اقتليني لكي أذهب لأخي فإنني لا أملك سبباً يجعلني أرغب بالاستمرار في العيش

دخلت مرجانة على عجل لتقاطع والدتها وأختها

: أمي انظري ماذا حدث

السيدة ثراء: هذا ليس وقتاً مناسباً يا مرجانة وإياكِ أن تقاطعي حديثي مجدداً

نظرت مرجانة لوالدتها ولأختها في حيرة مما يجري بينهما

مرجانة: ما الذي يجري؟!

مزدانة: لا شيء إنما توبخني كعادتها

أمسكت السيدة ثراء بشعر ابنتها وقالت بغضب: كم أود أن أقتلك بيدي هاتين يا خسيسة

صرخت مزدانة متألمة بينما اقتربت مرجانة وحاولت فك والدتها وإبعادها عن أختها

ثراء: مات أبوك بسببك والآن قتل أخوك ألا تعلمين أن كل مصائبنا أتت من بعدك؟!

مرجانة: إنها ابنتك أيضاً يا أمي

مزدانة ببكاء: دعيني يا أمي

شدت السيدة ثراء شعر ابنتها لتصرخ مزدانة بكل قوتها، ثم دفعتها أرضاً وقالت بينما تزيل شعراتها التي تعلقت بين يديها: فاسدة ودخيلة النسب

وخرجت بعد ما كبت جام غضبها على ابنتها، جلست مرجانة بجانب أختها لتواسيها وصدمت عندما نظرت

لملاح أختها الباردة

نهضت مزدانة بكل برود ودخلت حجرتها وقبل أن تغلق الباب قالت: لا تقتربي أكثر

وأغلقت الباب بكل قوتها

وقفت مرجانة وهي تشعر بضيق في صدرها لكنها لا تستطيع عمل شيء، فغادرت متجهة نحو مهجعها هي وزوجها وابنتها الصغيرة سهر

- في صباح اليوم التالي

عشيرة السرطان

بين ممرات البرج سارت مزدانة على عجل، تغطي آثار الحرق بيديها بينما تخفي كتاباً أسفل ردائها، ما أن اقتربت من الحجرة الممنوعة حتى ألقت بنظرة من حولها لتتثبّت من خلو الممر كيلا يكشف أمرها ثم دخلت الحجرة

كانت حجرة لكبار سحرة العشيرة حيث يقومون بصنع تعاويذ أو استحضار خدم من الجن العلويين، رفوف عديدة تحمل فوقها كتب سحر خطيرة، صفحات ممزقة وطلاسم غير مكتملة في الأركان

اقتربت من أحد الرفوف لتعيد الكتاب المخبأ، وبعد ما وضعته في مكانه همت بالخروج لولا أنها سمعت صوت خطوات تقترب من المكتبة

اختبأت في إحدى الزوايا لئلا يكشف أمرها لكن

الشخص الذي بالخارج طال وقوفه ثم سار مبتعداً دون أن يدخل المكتبة

همت بالخروج من المكتبة وما أن فتح الباب حتى صدمت عندما رأت أختها مرجانة تقف خلفه

مرجانة بتعجب: ما الذي تفعلينه هنا؟

مزدانة: لا شيء

مرجانة: هل رآك أحد؟!

مزدانة: لا

مرجانة: غادري بسرعة فوالدتنا قادمة

ثم أكملت: وأخفي يديك

تبادلتا النظرات لثوانٍ حتى لاحظت مرجانة ابتسامة لطف على وجه أختها الصغرى ثم غادرت

في ساعات متأخرة من الليل وعندما أوشكت مزدانة أن تغط في نوم عميق، طرق الباب من قبل أختها التي استأذنتها بالدخول

مزدانة: لم يغلبك النعاس؟!

مرجانة وهي تقترب من فراش أختها: أجل

ثم جلست على مقربة منها وأكملت: اذاً، أخبريني ماذا فعلتِ

مزدانة وهي تنقلب حينها بعيداً: لا شيء

مرجانة: منذ متى تخفين علي ما تفعلينه؟

مزدانة: حاولت أن أستخدم السحر كما تفعلون ولكنني حرقت أصابع يديّ

مرجانة: لا تجبري نفسك على ممارسة السحر

أمسكت بيدي أختها ثم أخرجت دواء صنع من الأعشاب وبدأت تضعه على أماكن الحروق في يديها

ابتسمت مزدانة بلطف ثم قالت: شكراً

مرجانة: لا داعي لشكري، لكن عديني أنك لن تحاولي مجدداً استعمال السحر

مزدانة: أنت تعلمين لماذا أحاول استعماله، فإن أتقنته فستتقبلني والدتي والعشيرة وإن لم أفعل فسأطرد لا محالة كالباقين من أمثالي دخيلي النسب

مرجانة: لن يحدث ذلك، أتعلمين أنني أوشك على إنهاء أقوى طلسم عرفته البشرية على وجه الأرض؟

مزدانة منبهرة: حقّاً؟

مرجانة: أجل وحينها سأصبح الملكة وسأتحقق من بقائك إلى جانبي

مزدانة بابتسامة صفراء: أتمنى ذلك حقّاً

مسحت مرجانة بلطف على رأس أختها ثم قبلتها وقالت:

سأدعك الآن حتى ترتاحي

وغادرت تاركة أختها تبحر في أحلام جميلة

- مع صباح اليوم التالي وفي أعالي السماء، فُتح باب قاعة العرش ودخل ساعد الملك ثم انحنى، بعد أن اعتدل قال للملكة

: مولاي

الملك وقاص: فلتأمر بحضور جميع العشائر الملكية والنبيلة كذلك

ساعد الملك متعجباً: هل هناك أمر ما يا مولاي؟!

الملك وقاص: أمور عديدة توشك على الحدوث فقد وصل لمسمعي أحاديث الرياح

العودة

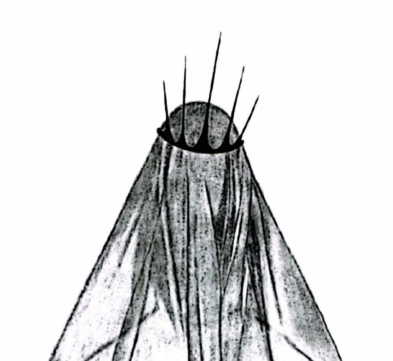

في الساعات الأخيرة من الليل حيث يوشك اللقاء الحميمي المنتظر بين الشمس والقمر مع كل شروق وغروب، لقاء قصير بشعور كبير في صدور العاشقين

وهذا كان حال العاشقة التي لم تغفُ عينها من شدة سعادتها، تنتظر بصبر اليوم الموعود والذي سيربط اسمها باسم عشيقها للأبد

اقتربت من نافذتها وتأملت ذلك اللقاء الجميل حتى اختفى القمر عن الأفق، فقررت أن تغلق نافذتها وعندما أغلقتها وأوشكت على أن تدير ظهرها لمحت خيال امرأة تقف بالخارج، امرأة لم تتمَّ أن تراها منذ أن استيقظت ثم سمعت ما لا تطيق سماعه ألا وهو نواحها

تساءلت في نفسها باستغراب: «كيف ظهرت ولا أزال مستيقظة؟»

ترتدي رداءها الأبيض الرث وتغطي رأسها بقماش، وعلى غير العادة فعلت أمراً جريئاً، إذ فتحت جميلة نافذتها وقالت بغيظ

: اغربي عن وجهي

لتندهش باختفائها وشعرت بانتصار كبير ونامت بعمق كما لم تنم من قبل

- مر وقتٌ طويل هادئ ثم فتحت عينيها وابتسمت لراحة بالها، نظرت تجاه نافذتها لتشاهد استقبال القمر لها

بجماله، نهضت من فراشها واقتربت لتحييه لكنها وجدت المرأة النواحة تنتظرها بالخارج، فقررت أن تتجاهلها وألا تفتح نافذتها

كان الهدوء والسكون يعمان أرجاء القرية إلا من نواح المرأة، ولكنه لم يمنع جميلة من الخروج في منتصف الليل البارد

خرجت جميلة من منزلها ومضت بين طرقات قريتها، قاصدة الصخرة التي دوماً ما تلتقي عندها مع آدم، ولكن أين ما اتجهت تظهر المرأة النواحة أمامها مجدداً، فتوقفت للحظات ونظرت إليها بقهر وقالت

: ماذا تريدين أيتها النواحة؟

توقفت المرأة عن نواحها ومالت برأسها بشكل مخيف يقشعر له البدن، وبقيت تحدق بها دون أي حركة أو صوت

كررت جميلة سؤالها وقالت: ماذا تريدين أيتها النواحة؟

ولكنها لا تزال على وضعها صامتة مائلة برأسها تحدق

جميلة بصوت عالٍ: ماذا تريدين؟!

النواحة: الوقت يمر أيتها الجميلة

جميلة: ماذا تقصدين؟

صرخت المرأة وعادت تنوح ولكن أقوى من ذي قبل،

حتى نزفت أذنا جميلة من شدة الألم لتسقط أرضاً وتضع يديها على أذنيها علها تخفف من شدة نواحها

صرخت جميلة بقوة قائلة: توقفي!

لتختفي النواحة ويسكن المكان، ضاق صدرها ثم انهمرت الدموع من عينيها وأخذت تمسح الدم النازف من أذنيها

جميلة: وهذا كل ما حدث

مهيرة: ما الذي سنفعله بهذا الشأن؟

تنهد نصير ثم قال: لا أعلم

مهيرة: ما يقلقني هو أنها أصبحت تتجسد لها، وماذا لو قررت أن تؤذيها؟

جميلة: لنناقش هذا الأمر لاحقاً، سأغادر لإكمال تجهيزات زفافي فلم يتبقَّ سوى يومين

قالت مهيرة متناسية ما جرى: لنذهب معاً يا جميلتي

في المساء عادت جميلة لحجرتها وقررت أن تجرب رداء زفافها، وما أن انتهت من ارتدائه حتى فوجئت بوجود النواحة تقف داخل حجرتها ولكنها كشفت وجهها لأول مرة، تسمرت جميلة بعد ما أدركت ما تراه وقالت

: من أنتِ؟، ولماذا ترتدين رداء كردائي؟، ولماذا تشبهينني؟

النواحة: أنا هي مرآتك، ودوماً ما ارتديت هذا الرداء لكنك لم تنتبهي قط

جميلة: ماذا تريدين؟

مالت برأسها ثم قالت: الوقت يمر أيتها الجميلة

جميلة: وقت ماذا؟

النواحة: وقتك أوشك على النفاد

جميلة: هل ستقتلينني؟!

اقتربت النواحة من جميلة ثم وضعت يدها على جوفها وقالت

: ستقتلين من أقرب الناس إليك

تألمت جميلة وتراجعت للخلف حتى تبتعد عن النواحة ثم وضعت يدها على جوفها من شدة الألم، وعندما رفعت بصرها باتجاه النواحة لم تجدها لكن تردد صوتها وهي تقول

«الحب هو العذاب وقاتلك الحقيقي»

وادي الدماء

بعد ما كاد أن ينقطع الأمل بالفوز هبت المساعدة من قبل ميرديث وبرفقتها قبيلة الزوابع، وعندما أوشكت الحرب على الانتهاء لمصلحة ريجينا حدث ما لم يكن بالحسبان، إذ حضرت الغيلان ليقتص ملكهم منها

هلع جميع من في المعركة وحدثت أكبر فوضى بالتاريخ، بدأ جيش السحرة بالهروب باتجاه عدن، يحاولون الاختباء باستماتة خلف أسوار عدن، رغم علم الجميع بمن فيهم ريجينا أنه لا مفر من بطش الغيلان، وكان مناهم ميتةً سريعة أو أن يفر ولو بضعة رجالٍ ونساء من عدن قبل أن تستوي بالأرض

ضغط كبير على كاهل ريجينا تجاه مُلكها الذي لم تهنأ به بعد، وكأنما المُلك قد نُحس منذ أن لبست التاج واستولت على العرش

وصلت الغيلان وكانت تدمر كل ما يقع أمامها، تسلب روح كل كائن حي ويتقدمهم الملك جلمود، جيش أقل ما يقال عنهم أنهم نهاية العالم وسبب نهاية حقبة البشر وفنائهم من الأرض، جيش من عددهم وضخامتهم كادوا أن يحجبوا أشعة الشمس لولا أن البشر لا يستطيعون رؤيتهم

بدأ قتال الغيلان من جهة السحرة لوجودهم على أطراف المملكة، حاول الكثير منهم الدفاع عن نفسه لا القتال، ورغم محاولاتهم الفرارَ وتجنب القتل من قبل

الغيلان إلا أن أجساد أعداد كبيرة منهم مزقت وتطايرت في جميع الأنحاء، وبدأت الأرض تسقى بالدماء حتى تشبعت منها

وقف أليرون مذهولاً وشعر برجفة تسري بأنحاء جسده ليردد دون أن يشعر: هذه الحرب من ثلاث جبهات لكنها في الواقع من جبهة واحدة، وأكمل بهلع: ألا وهم الجن

بسيل بلهاث بعد ما حاول بكل قوته أن يصد ضربات الغيلان المتتالية: لم أظن أنني سأضطر لقولها يوماً ولكننا نحتاج أن نتحالف مع العدنيين

أغيد بينما يساعد أحد سحرته بعد ما كاد يُقتل: لا أظن أنها ستقبل العون منا

بسيل: لنحاول وإن كنا نملك ولو فرصة ضئيلة بالنجاة

صرخ كيلان بينما كان يركض: جزلان احذر

مزق جسد جزلان بوحشية أمام السحرة، ليركضوا بكل جنون يرتجون ويبتغون الخلاص خوفاً وهرباً من الموت ذاته، فلم يعد يكترث أحد بالفوز

تدافعت جيوش ريجينا عند البوابة كلٌّ يحاول الفرار إلى داخل المملكة، بعد رؤيتهم لمقتل العديد من السحرة

بينما كان يتناطح كل من بحرش، حيدس، عزيف وميرديث لتقليل اندفاع الغيلان باتجاه عدن، أما عن ريجينا فكانت تقف برهبة أمام منظرهم الفظيع وأعدادهم

زابع: آنسة ميرديث، لقد أتينا لرد الدين وهذا ما فعلناه، ولم تعد هذه الحرب حربنا

ميرديث: أعلم ذلك

ريجينا بفزع: لم تنتهِ الحرب بعد

زابع: كان الهدف من مجيئنا أن نطيح بالسحرة ولم يكن اتفاقنا أن نواجه الغيلان في هذه الحرب

حيدس: ولكنكم هنا، يجب أن تساندوا إخوتكم الشياطين

زابع: عذراً أيها المستشار حيدس، فما بيدي أي حيلة أمام طغيان الملك جلمود

ريجينا بمقت شديد: يا لكم من جبناء! هيا انفذوا بجلدكم فهذه الأرض لا يبقى فيها الضعيف

ميرديث بحدة: ريجينا!، ألا يكفي انهم قد أتوا لمساندتك؟

ريجينا: لكن حربي لم تنتهِ لذا لا فائدة من مجيئهم

زابع: الانسحاب ليس ضعفاً، بل من الشجاعة أيضاً أن تعلم متى تنسحب من معركة خاسرة

حيدس: إن مددتم العون لنا فسأحرص على إعلاء شأنكم أمام ملكنا

زابع: كما تشاؤون ولكنكم تدينون لنا بمعروف

حيدس: لك ما شئت

بدأت الحيطان تتساقط لاستمرار تزلزل الأرض، أسقف المنازل تنهد على رؤوس أصحابها، وإن استمر الحال فلن يبقى سوى آثار لمعالم عدن

رغم قوة جحرش الهائلة إلا أنه قد استنفد معظم طاقته على مواجهة أتباع السحرة، لذا كان يأخذ وقتاً حتى يسقط غولاً واحداً

أما عن عزيف فكان يقاتل جنباً إلى جنب مع والدته ميرديث، وكان حيدس أكثرهم فتكاً بالغيلان وكان يسقط الغيلان بسرعة دون أي جهد كبير عليهم، لكنهم أربعة ضد مئات الآلاف من الغيلان فقد كانت مسألة وقت حتى يسقطوا أربعتهم

شاركت الزوابع في المعركة بعد ما أمر سيدهم، لتبدأ معركة طاحنة بين الطرفين راح ضحيتها أغلب السحرة الفارين

اقترب أغيد من ريجينا وهو يردد: السلم، السلم أيتها الملكة

رفعت ريجينا يديها استعداداً لقتله حتى جثا على ركبتيه قائلاً: نريد حلفاً معك حتى نصد هجوم الغيلان

ريجينا بحدة: أبعد حربك ضدي تطلب السلم والحلف؟

بسيل مدافعاً: ضعي هذا الأمر جانباً، لنتكاتف ضد عدونا

أغيد: اعتبريه حلفاً مؤقتاً

بسيل: هل جننت؟

ريجينا: لتغدر بي في حين غفلة

أغيد: أقدم لك ولائي وطاعتي إن كنت لا تزالين تشككين بي

ريجينا: سنرى ما ستؤول إليه الأمور بيننا

بسيل: إذاً؟

ريجينا: الحلف قائم بيننا

تكاتف السحرة الناجون من فوضى المعركة جنباً إلى جنب مع ريجينا فلولا تضارب مصالح البشر وتفرقهم لأصبحوا سكيناً مسموماً في جوف بني الجن، حاول الحلف القضاء على من يستطيعون وصد هجوم الغيلان التي تتجاوز صفوف الزوابع باتجاههم

احتدت المواجهة بين الجهتين حتى كاد جحرش أن يسقط قتيلاً بعد ما اجتمع حوله عدة من الغيلان للقضاء عليه، ظهرت زوبعة ضخمة حول جحرش لتقضي على جميع الغيلان من حوله ثم تختفي ويظهر زابع

جحرش: لولا تدخلك في الوقت المناسب لكنت ميتاً

زابع: سأتلقى توبيخاً قاسياً وملامة من ملكنا إن تركتك

تموت دون أن أساعدك يا ذا الوجهين

قتل العديد من الغيلان بعد ما تدخلت الزوابع لصف ريجينا، فنقطة ضعف الغيلان هي الزوابع لصغر أحجامهم فهم قوم حفارون من الشياطين، سريعون في الحركة ينتجون زوبعة من دورانهم وسرعة حركتهم، إلا أن نقطة ضعفهم تكمن في قلة عددهم، فكان يجتمع الغيلان حول واحد منهم للقضاء عليه، وبدأ يُلحظ سرعة تناقص أعدادهم لكنهم استمروا بقتال الغيلان وإطاحة العديد منهم دفعة واحدة

تعالى صدى صرخات أهل عدن بسبب الدمار الحاصل بينهم وحاول العديد منهم الفرار إلى بقية الممالك، لكن المنفذ الوحيد هو عن طريق البحر ولا توجد سفن كثيرة لتحمل جميع سكان عدن الذين يريدون النجاة بأرواحهم، صرخاتهم تلك كانت كفيلة بإثقال كاهلي ريجينا لتحمر عيناها غضباً وقهراً، وتلك اللحظة مرت بطيئة وهي تنقل بصرها بين الزوابع الذين خسروا أكثر من نصف أعدادهم ضحايا تلك المجزرة

حانت اللحظة المؤلمة التي تختار فيها ريجينا بين التضحية بأطماعها في الملك والسيادة أو سِنِي عمرها، أخرجت خنجرها بعد ما تجاوز الملك جلمود كل من أمامه ليقترب من ريجينا ابتغاء القضاء عليها

بسيل: تعويذة حاجز حالاً

عمل الجميع حاجزاً مؤقتاً لردع هجوم الملك جلمود

الملك جلمود بغلظة: اخرجي أيتها الجرثومة، اخرجي حالاً

أغيد: لن يصمد الحاجز لوقت طويل أيتها الملكة، يجب أن نجد حلّاً لردعه

ريجينا: لن يُقتل، ليس الآن، لأنه سينحني ولاءً وطاعةً لي

بسيل: هل جننت؟، مستحيل أن يفعل ملك الغيلان ذلك

ريجينا بثقة وبابتسامة نصر: سأرغمك يا جلمود

الملك جلمود: سأتلذذ بقتلك أيتها الهجينة

شقت ريجينا معصم يدها وقالت وهي تنظر لعيني جلمود بجنون: اخرجوا يا ظلالي من صغيركم إلى كبيركم

بدأت تندفع الظلال للخروج من جسدها ويحلقون من فوقها في انتظار أمرها

سيد الظلال ظالم: ما طلبك؟

ريجينا بحدة: اقضوا على الغيلان واتركوا لي ملكهم حيّاً

تحركت الظلال بسرعة من خلال الملك جلمود الذي أدار وجهه حيث يقاتل جنوده بشراسة، بدؤوا يقتلون بوحشية ويمزقون دون أي رحمة أمام أنظار ملكهم الذي سقط على ركبتيه يصرخ بأسىً على موت جنوده

ركدت الأرض بعد ما قتل آخر غول فلم ينجُ أي غول سوى الملك جلمود، هدأت ساحة المعركة وامتلأت بجثث الضحايا وبقايا موتى متناثرة بالأرجاء، رفع علم النصر وعلم الجميع مدى قوة الظلال وقوة ملكة عدن الجديدة

وقف الملك جلمود بانكسار ملحوظ ونظر لريجينا ببرود وكأنه قتل وأصبح جسداً بلا روح

: أتيتِ مملكتي وأهنتني بين أتباعي وقتلت العديد منهم أمامي، انحنى أمام ريجينا وأكمل بقهر لم يخفَ وكأنه جبل جليدي كاد يعانق السماء فخراً واليوم قد انهار من شدة غروره

: أنا الملك جلمود أقدم ولائي وطاعتي إلى ملكة عدن الأولى ريجينا

ثم غادر وحيداً يجر كبرياءه ويلملم شتات كرامته، صدم الجميع من فعلة ريجينا فلم يقوَ أي جيش على الإطاحة بهم على مر الزمان، ولم يحدث أن انحنى ملك من ملوك الغيلان لمخلوق، قد أصيبت الغيلان بكسرة عظيمة لن تلتئم على مر الزمان

ابتسمت ريجينا منتصرة ولكن ارتجف جسدها بعد ما عادت الظلال إلى جسدها، شعرت بوهن شديد وتعب وكأنها بدأت تفقد قوتها

نظرت ريجينا إلى ظالم وقالت: ما الذي يحدث؟

ظالم: إن أبنائي يأكلون من عمرك

ريجينا بقلق: وكم من عمري خسرت؟

ظالم: عشرين عاماً

فاجعةٌ حلت بريجينا وكادت أن تسقط من شدة فزعها من الخبر الذي زلزل جسدها وقالت بربكة: عشرين عاماً؟، لقد كانوا جيشاً واحداً فقط!

ظالم: بل أقوى جيش بين العالمين

ابيض ربع شعرها ثم حدثت نفسها:

«ما الذي جنيته على نفسك؟»

«إنه فعلاً طلب فادح ومقابله أفدحُ منه»

قطرة من جسد

شرقت الشمس لتعلن بدء معركة خارج أسوار عدن وشغب داخلها، عُلقت الآمال لتصمد عدن في هذه الحرب وتخرج منتصرة

ضجيج من خارج الأسوار أرعب الشعب ليدب الرعب في قلوبهم، صرخات الموت الآتية من الجنود أفزعتهم وأبكت الصغار والكبار خوفاً وهلعاً، حشود عدة في المعابد كلٌ يدعو بنصرة عدن

وسط ذلك الضجيج وزحام الناس هرباً إلى الطرقات الداخلية في عدن، اصطدمت بهم شفق التي كانت تجاهد للخروج من بينهم، حتى طلبت هائج ليخرجها بعد ما كادت تختنق بينهم، صعد هائج بها في أعالي البنايات لتشاهد كل ما يجري بالخارج

صدمت مما تراه عيناها فلم تظن أن الأمر بهذه البشاعة والفظاعة

هائج: هكذا هي الحروب تقضي على كل ما هو جميل، ولو لم يقتل الجسد فالروح ما عادت ترى الحياة كما كانت

شفق: وما أسوأ أن يعيش المرء كجسدٍ بلا روح

صدر صوت صرخات من خلف شفق فأدارت ظهرها وصدمت من العنف الحاصل بين الشعب، نهب وقتل، وكلٌ يردد: نفسي، نفسي

شفق: ما الذي يجري؟

هائج: يخشون من الجوع إن سقطت عدن، ويخشون من سلب النساء والأبناء

شفق: يجب أن أفعل شيئاً

هائج: لن تستطيعي فعل شيء، والأفضل أن تبقي في مكان آمن

ما أن أنهى هائج جملته حتى لمح قذيفة نارية سقطت بقوة، لتتحطم المباني ويسحق العديد من الناس

شفق: ما هذه الفظاعة؟!

ثم أكملت: يجب أن أجد ووصال ووليم، أنزلني حالاً يا هائج

هائج: سآتي معك لأتحقق من سلامتك

نزل الاثنان أرضاً وأخذت شفق تتصادم مع الناس بحثاً عن وليم ووصال، اتجهت إلى زقاق منزلها وفجأة اصطدمت قذيفة نارية بالقرب منها، سقطت أرضاً وجرحت أجزاء عدة من جسدها

هائج: دعيهما الآن، يجب أن أخرجك من هنا

شفق: إلى أين؟

هائج: إلى مكان آمن حتى تنتهي الحرب

شفق: لكن!

نظرت للجنون الحاصل أمامها، ألسنة اللهب تشتعل وتأكل

كل ما يقع في طريقها، غير رحيمة وغير مبالية تدمر كل شيء حولها، هلع وصرخات استنجاد من الجرحى والمصابين، عقدت شفق حاجبيها ثم قالت

: لن أخرج، سنبقى هنا لننجد الشعب

هائج: لكن القذائف لن ترحم أحداً

شفق: لكنك هنا

هائج بتردد: لا أستطيع تركك وحدك

شفق: اطلب عون أتباعك لإخماد النيران

هائج: ابقي بأمان

شفق: سأفعل

افترق الاثنان في طريقين مختلفين، ركضت شفق بأسرع ما يمكن بينما تحدق باتجاه السماء، لتتحقق من سلامتها وعدم إصابتها

فوجئت أثناء سيرها بوليم ساقطاً أرضاً ينزف دماً، اقتربت منه على عجل وصرخت

شفق: وليم هل أنت بخير؟

وليم: آنسة شفق

شفق: هل أنت بخير؟ أخبرني

وليم: لا أشعر أنني بخير

شفق: انهض وساعدني لآخذك لمكان آمن

وليم: لا وجود للأمان الآن

شفق: تمالك نفسك يا وليم وانهض حالاً

نهض وليم بينما كانت تساعده شفق على الحراك، لمحت قذيفة نارية ستسقط أمامهما في الطريق الذي يسلكانه، ليستديرا باتجاه آخر ولكن سرعان ما سقطا نتيجة اصطدام الناس بهما، هلعا بعد ما سقطت القذيفة خلفهما

وليم: دعيني وغادري يا آنسة شفق

شفق بينما تلتقط أنفاسها: انهض

نهض وليم ليكملا سيرهما حتى صادفا وصال تبكي بحرقة على والدتها التي توفيت حرقاً أمام عينيها، اقتربا منها وجلسا بجانبها

شفق: وصال ما الذي جرى؟

نظرت إليها وصال بأسىً ثم أجهشت بالبكاء بينما تردد : ماتت متألمة

سقطت الدموع من عيني شفق وقالت: غادرت لمكان أفضل

لم تتوقف وصال عن النحيب

انتبهت شفق إلى أن النيران من حولهم تُخمد، وعلمت أن هائج قد عاد برفقة أتباعه

شفق: ستغادران برفقة شخص غريب حتى تنتهي الحرب

وليم: وأنتِ؟

شفق: لا تقلق لأمري

أكملت: خذهما لمكان آمن

اختفى الاثنان من أمامها وباتت تنظر حولها لعدن التي بدأت تُمحى معالمها، ثم لفتها صراع وقتل بالقرب من الميناء لتركض بسرعة حتى ترى ما يجري هناك

زحام شديد على الميناء حيث كان يتدافع الناس فيما بينهم، كلٌّ يود الفرار بالصعود على متن إحدى السفن والزوارق، ولم يكتفوا عند هذا الحد بل إنهم بدؤوا بقتل بعضهم بعضاً لضمان هروبهم، كلٌّ يردد:

«أنا»

شفق: ماذا سنفعل بهم؟

هائج: لا أمل منهم

أُطلقت شرارة حمراء عالياً بالسماء لفتت جميع أنظار الشعب إليها

شفق: ماذا الآن؟!

هائج: شيء لا يبشر بالخير

- ظهر عددٌ من السحرة داخل أسوار عدن وبدؤوا بقتل

كل من بالدفاع، وكل بريء يعترض طريقهم

شفق: إن استمر الأمر على هذا الحال فستسقط عدن لا محالة

فتح باب عدن على مصراعيه ليدخل الجنود حتى يواجهوا السحرة الذين بالداخل

هائج: هناك شيء ما

شفق: ما..

اهتزت الأرض بقوة أخلت بتوازن الجميع ثم ظهرت زوابع كبيرة خارج أسوار عدن تلتهم كل ساحر أمامها

شفق: ما، ما هذا؟

هائج بقلق: الزوابع

شفق: هل هم بصفنا؟

هائج: أجل

شفق: ما الذي يقلقك؟!

هائج: لا تزال الأرض تهتز ولكنه يزداد بمرور الوقت

شفق: أليست من فعل الزوابع؟

هائج: هذا ما ظننت في بادئ الأمر

لفت نظر شفق تحول الزوابع إلى ريح مشبعة بألسنة اللهب، رياح ولهيب مشتعل يقضي على كل شيء بلمح

البصر، تعالت صرخات الجنود بالداخل بينما كانوا يواجهون السحرة حتى قُضي على آخر ساحرٍ منهم

زاد اهتزاز الأرض أكثر من قبل وبدأت الحوائط تتأثر بفعله، حتى دب الرعب في قلب هائج الذي قال بهلع : لماذا أتوا؟!

شفق باستغراب: من تقصد؟

هائج: يجب أن تغادري الآن يا شفق

شفق: لماذا؟

هائج: الغيلان تقترب من عدن

شفق: الغيلان!، ولكن لماذا؟

هائج: لا أعلم ولكن يجب أن نغادر حالاً

حُملت شفق عالياً وأصبحت تشاهد وتسمع من أعالي السماء، هُدت الحوائط وسقطت العديد من البنايات، لقي العديد من الناس مصرعهم بأبشع طريقة، تعالت الصرخات ونُزفت عدن

وما أن أوشكت على السقوط حتى ظهرت ظلال عديدة حجبت الرؤية، توقف هائج ينظر بعينين مصدومتين ما يحدث بالأسفل من مجزرة عُظمى

هائج: قُتلت الغيلان

شفق: انتصرت عدن إذاً!

هائج: أجل

شفق: دعنا نعدْ إذاً

صرخ الجنود فرحاً وهدأ الشعب غير مصدقين بنجاتهم وانتصارهم، احتشد الناس بجانب أبواب عدن مترقبين دخول الملكة إليهم، وقفت شفق بينهم وعلى مقربة كافية لترى الملكة

عادت ملكة قد ابيض ربع شعرها الأمامي، تسير بتعالٍ وكبرياء تخفي خلفه خسارة كبيرة

عاد كلٌّ من وليم ووصال إلى المنزل، ضمدت جراح وليم وشفق بينما بقيت وصال في حداد على موت والدتها

هدوء كئيب وحزن عظيم حل بعدن ثم غربت الشمس تعلن نهاية يوم قاسٍ

سمعت شفق هلعاً بالخارج وهرعت لترى ما يحدث ثم اتسعت حدقتا عينيها بينما حدقت للسماء ثم قالت: قد ظهر الأول

اثنان من السبعة

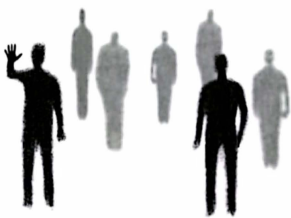

في تلك الجهة المظلمة في أقاصي الشرق تناحر الخلق فيما بينهم لأجل بوابة تربط بين العالمين، وسط خشية الشياطين من قدوم اثنين من السبعة وهو اسم مختصر يطلق على أقوى سبعة شياطين من أتباع عزازيل

خرج الاثنان من مملكة الشياطين ووقفا بعضهما بجانب بعض ثم تفرقا بلمح البصر كلٌّ منهما سار باتجاه مختلف عن الآخر، سقط العديد من الحلف بسرعة خاطفة وبقي النصف كل هذا فقط بمساعدة اثنين من السبعة

قال أحدهم: يا لسرعتهم الخاطفة!

انتهز سيد الأباطيل الفرصة عندما شتت تركيز الحلف، وسدد ضربة قوية أصابت ملك العفاريت إصابة بليغة، لكنه سرعان ما تحور ليقلل من فرصة سقوطه

ملك المردة عزام: جامح تراجع للخلف!

ملك العفاريت جامح: لا مجال للتراجع ليس اليوم

تحورت جميع العفاريت وهجموا بأقوى قوتهم خلف ملكهم الغاضب، يردون هجوم الشياطين ليقتلوا العديد من الزوابع والأباطيل، حتى كاد أن يقتل زابع لولا تدخل ميرديث والتي صدت هجوم العفاريت المتحورة من حوله ثم قتلتهم

زوبعة هرعاً لابنه: هل أنت بخير يا بني؟

زابع: أجل يا أبي، هذه السيدة أنقذت حياتي، أشكرك

أيتها السيدة من صميم قلبي

زوبعة: كل الشكر والعرفان لك يا سيدة ميرديث

ميرديث: واجبٌ علي حماية من استطعت

زابع: أدين لك بحياتي، وهو دين سيبقى إلى أن تطلبيه متى ما شئت وأيّاً كان ما تريدين

زوبعة: فعلاً ندين لك نحن الزوابع بالدين

تفرقوا واستمرت المعركة بقوة بين الطرفين فتارة ينزاح النصر إلى الشياطين وتارة إلى الحلف

بعد ما صرخ عزازيل بجملته المرعبة نظر لجلمود بتهديد ووعيد ليبادله بنظرات حادة تخفي خلفها نية انتقام مخيفة، ركض جلمود بقوة ليكمل ما بدأ بلكمة أخرى مميتة لولا أن تفاداها عزازيل، لكن جلمود تعمد فعلها ليباغته بركلة مؤلمة أشد قوة، تراجع عزازيل بضع خطوات للخلف قبل أن يفقد توازنه ويسقط أرضاً، اقترب جلمود بسرعة لينهي الحرب بقتل عزازيل لكنه ما أن اقترب حتى نهض عزازيل بقوة ليغرس يديه داخل أمعائه محدثاً فجوة قاتلة

مسك جلمود يدي عزازيل بقوته ليحاول تهشيمهما لولا أن ركله عزازيل بعيداً وأخرج يده من جسده

نهض جلمود بتعب بينما كان يغطي جسده العلوي الدخان الصادر من الفجوة، لمعت عيناه باللون الأحمر ورغم الضربة المميتة التي تلقاها إلا أنه لا يزال يتمتع بصحة

كافية ليكمل هذه المواجهة الخطيرة

ركض عزازيل نحو جلمود وقفز بقوته نحوه ليسقط أرضاً على إثرها، لكنه سدد لعزازيل ضربة مميتة بصخرة ذات طرف حاد في رقبة عزازيل، بينما أحكم عزازيل قبضته على يد جلمود وقام بنهش كتفه الأيسر، عاود جلمود بيده المتضررة الأخرى توجيه ضربة أخيرة بصخرة أخرى ذات طرف حاد ونجح بإبعاد عزازيل عنه

- اهتزت الأرض وبدأت تتشقق ليظهر منها الوحوش بأعدادهم الهائلة ويقاتلوا جنباً إلى جنب مع الحلف، حصدت العديد من الأرواح من جميع الأطراف والأكثر خسارة كان العفاريت بعد ما تحوروا، ضعفت قوة الشياطين أمام الوحوش لأنهم كانوا يستخرجون المياه الجوفية من الأرض مستغلين مصدر قوتهم باستخراجهم المياه من باطن الأرض، امتلأت ساحة المعركة بالمياه وكانت الوحوش تقضي على الشياطين بسرعة هائلة، لكن بعض أنواع الشياطين كان سباحاً، إلا أنهم أقل في العدد من بين بقية أنواع الشياطين، قتل جميع الشياطين السباحة دون عناء يذكر لأن عدد الوحوش غلب أعدادهم

ملك الوحوش هائج: أتمنى أننا لم نتأخر كثيراً

الملك عزام: تأخرت كثيراً

الملك هائج: ما بالك عابساً؟

الملك عزام: إنني أشعر باقتراب مصرع الملك جامح

الملك هائج: لماذا؟

الملك عزام: تلقى ضربة مدوية من سيد الأباطيل ليصاب بإصابة بليغة ورفض التراجع للشفاء

الملك هائج: لنفدِه إذاً بأرواحنا ونسانده نحن الاثنان

حلقت العفاريت وبدأت تقاتل من السماء لكنهم كانوا طعماً سهلاً بين يدي الزوابع، أدرك هائج فداحة ما يحدث وأمر جميع أتباعه بقتال الزوابع، بينما كان بحرش يصب تركيزه على الغيلان لصعوبة قتل الغول الواحد من أبناء الشياطين، أما عن الاباطيل فتعاون بعضهم لقتال العفاريت جوّاً والبعض كان في الساحة لصد هجوم الوحوش ضد الزوابع

تسنى للشياطين قتال المردة والغيلان دون أي تشتيت من الوحوش، أما عن الثالوث والمامون فكانا يقتلان العديد من الحلف حتى أتت الوحوش وأضعفت سرعتهما بسبب خروج المياه، ليجتمع حولهما العديد من الغيلان

تراجع الملكان ينظر كل واحد منهما نحو الآخر بغضب وحقد ورث بين الشياطين والغيلان

جلمود: من كان يظن أنه سيصعب علي قتل ملك الشياطين؟

عزازيل: أخبرتك: انتهى جبروتكم بموت جدك يا جلمود

جلمود: لا أظن أنها معركة تستحق أن يقتل لأجلها

العديد من أتباعنا لأجل بوابة

صرخ أحد العفاريت قائلاً: سقط الملك جامح

هرع الملكان عزام وهائج إليه

عزام: أخبرتك أن تتراجع لماذا لم تنصت لي؟

جامح: أديت دوري تجاه مملكتي وتجاه مطمعنا لذا أنا راضٍ تمام الرضا عن نهايتي

هائج: ضحيت لأجلنا ونعدك أننا سننتصر

نهض جلمود من الأرض واقترب من عزازيل وبدأ يلكمه ويسدد له ركلات عدة، حاول عزازيل صد معظمها لكنه فشل في صد بعضها، ابتعد عن جلمود ونهض هو كذلك

حالتهما يرثى لها، أجسادهما ممزقة ومهشمة أوشك كل منهما على أن يلقى مصرعه ولكن هيهات أن يتوقفا الآن، ركضا بما تبقى من قوتهما ثم تلاكما مجدداً، تشابكت أيديهما وحاول كل منهما إسقاط الآخر حتى خارت قواهما

نظر الاثنان من حولهما متفاجئين مما حدث اثناء انشغالهما، امتعض عزازيل من موت العديد من أتباعه ثم وجه كلامه نحو جلمود

: حربي لم تكنْ ولن تكون ضد بني جنسي، إن حربي تجاه أبناء آدم وهدفي إضلالهم عن الطريق الحق وهذا

كان عهدي مع خالق كل شيء

جلمود: والبوابة؟!

عزازيل بسخرية: بعد ما نزفتم حتى الموت قد نلتموها الآن

شعر جلمود بغيظ رغم تحقق مرادهم ثم قال بأعلى صوته: انتهت حربنا

ردد عزازيل بجملته نفسها ليسود الصمت أرجاء ساحة المعركة ويعم الهدوء، لم يشعر أي أحد بالانتصار فلم يُقضَ على أي طرف من الاثنين، إنما تنازل عزازيل عن بوابته للجميع ولم يستسلم

جرح كبرياء الملوك فطعم نصرهم كان شديد المرارة

تراجعت الشياطين وأحضروا البوابة بعد ما أمرهم عزازيل بإحضارها

- ظهرت بوابة كبيرة سماوية اللون تلك التي شنت الحرب لأجلها، جماد صامت لكنه يربط بين العالمين «الإنس والجن»

عزازيل: هذا ما حاربتمونا لأجله وهو اليوم مُلك لكم

اقترب الملوك الثلاثة منبهرين من البوابة بينما حملت العفاريت جثمان ملكهم الراحل عائدين به إلى مملكتهم

سار عزازيل هو وشياطينه عائدين إلى داخل مملكته

بينما غادرت جميع القبائل من ساحة المعركة

وجه جلمود كلامه للملكين عزام وهائج: سنغادر أنا وأتباعي فماذا عنكم؟

عزام: سألحق بكم

هائج: أنا برفقتك يا جلمود

جلمود: لتصطف جميع الغيلان بعضها خلف بعض فاليوم حان لنغادر هذه الجهة المسودة من الأرض

هائج: سنتبع الغيلان ونغادر معهم نحو جهتنا الأولى

ما أن أوشك الملكان على الدخول من البوابة حتى بدأت تتشقق ثم تحطمت أمام أنظار الجميع ومن بينهم عزازيل الذي نظر إلى صدى صوت تهشم البوابة، موجة ضخمة ذات صدىً مدوٍّ خرج من البوابة وتوسعت حتى غابت في الأفق البعيد، ما حدث بعدها كان مدهشاً إذ أصبح حاجزٌ هشٌّ يربط بين العالمين، يستطيع أي جني أن يتجاوزه ويغادر إلى جهة الإنس في أي مكان

عزام: ما الذي حدث؟

هائج: لا أعلم حقّاً ولكن هل ترون ما أراه؟

جلمود: هذا أفضل بكثير من بوابة

هائج: معك حق

جلمود: سنغادر الآن أنا وأتباعي نحو الصحراء

عزام: أي صحراء؟

جلمود: صحراء الجزيرة العربية

- وغادر جلمود ناحيتنا وشيد في صحرائنا العربية مملكة الغيلان والتي كانت في الربع الخالي حيث تمر بعض القوافل التجارية شمالاً

أما عن الوحوش فسكنوا المحيطات وشيدوا قلاعاً عند كل مجمع بحرين، وفي يوم ما عندما كان هائج يجوب البحر الأحمر لمح فتاة ذات شعر فضي مائل للبياض تبكي بحرقة على صديقتها الراحلة والتي سميت بسيراف، ثم وقع أسيراً في حبها ليتجسد بعدها بجسد سيراف فيلتقي بها على الشاطئ في كل ليلة

: وهكذا التحمت الجهتان واقترب الظلام منا

: ما الذي سيحدث لنا حينها أيها الحكيم؟

الحكيم: سنقاومهم بكل ما أوتينا من قوة يا بني

التداعي والارتقاء

صباح يوم غير مرغوب لما فيه من أمور لم يحبَّها ولن يحبها ابن آدم ألا وهو التغيير، وخارج أبراج عدن السبعة احتشدت العشائر النبيلة أمام بوابة البرج الملكي حتى يدخلوا إليه بعد ما وصلتهم أوامر بوجوب قدومهم

بينما خرجت العشائر الملكية في قلق من أبراجهم إلى برج الملك، حيث إن الأبراج الستة تتصل بالبرج الملكي عبر جسر ربط فيما بينها

وحان وقت التغيير حيث اجتمعت جميع العشائر الاثنتي عشرة وقد كان ترتيبها:

السابعة: الدلو

الثامنة: الثور

التاسعة: القوس

العاشرة: الميزان

الحادية عشرة: الحوت

الثانية عشرة: الجدي

ساد التوتر بين العشائر الملكية خوفاً وقلقاً على مكانتهم في البلاط الملكي، ومن الناحية الأخرى برود ولا مبالاة من العشائر النبيلة

فُتح الباب الجانبي ليخرج منه الملك وقاص متوجهاً نحو عرشه، خفت الضجيج بين الجميع عندما نظر الملك بهدوء

باتجاه جميع العشائر ثم انحنى الجميع له حتى أذن الملك لهم بالاعتدال

الملك وقاص: سلامي عليكم عشائر بابل المخلصين، إنه لمن النادر أن نجتمع معاً ولكنه أمر تحتم علي بطلب وجودكم جميعاً هنا، على أي حال هناك أمور عديدة توشك على الحدوث

صمت الملك قليلاً ثم أكمل: ولكن هناك قضية لم تحكم بعد ألا وهي عدالة المقتول، وقد وصل لمسمعي في الليالي السابقة أقاويل عديدة حملتها الرياح إلي

نظر الملك وقاص لساعده الأيمن شعيب وأذن له بالحديث نيابة عنه

شعيب: الآنسة أزاهير من عشيرة الحمل

وجهت جميع الأنظار ناحيتها وعلت الأحاديث

السيدة العبير: إذاً أنتِ من فعلها

اكتفت أزاهير بالصمت

شعيب:

السيد عديل من عشيرة العقرب

السيد بشير من عشيرة الأسد

سيد عشيرة الأسد باهر: ما الذي يجري يا مولاي؟ فمن المفترض أن ينادى اسم القاتل فقط!

شعيب: السيد جاثم من عشيرة الجوزاء، هؤلاء المشتبه بهم حتى إن وصلنا دليل آخر

صدم الجميع وحدثت ضجة، زاد توتر وربكة العشائر الملكية من هذا القول

أظهر شعيب الدليل الخامس ملفوفاً بقطعة قماش، وقام بإخراجه ليتبين ما هو، وكان خنجراً ملطخاً بدماء الضحية

رفع الملك يده حتى يهدأ الجميع

أكمل شعيب: ليتبين لنا أن القاتل هو جاثم

هتفت كلٌّ من عشيرة الحمل والعقرب والأسد بخلاصهم من هذه المحنة، ومن جهة عشيرة الجوزاء فقد جن جنون السيد باهر ونظر لابنه بحقد عظيم بينما يقترب الحراس منه لأخذه خارجاً

السيد باهر: انظر ما الذي فعلته بنا أيها الوضيع، سأحرص على انتقامي منك في الحياة الأخرى

نظرات شامتة من جميع العشائر ونظرة انتصار من السيدة ثراء والتي كانت تقف بجانبها ابنتها مرجانة مع زوجها المنذر

شعيب: صمتاً

بعد ما هدأ الجميع نقل الملك بصره بين جميع العشائر حتى التقت عيناه بعشيرة الجوزاء وقال: سيد عشيرة الجوزاء السيد باهر

باهر: أمرك يا مولاي

الملك وقاص: تعلم تبعات ما حدث!

السيد: أجل

الملك وقاص: ستخسر السيادة وتبتر يدك اليمنى، وتسقط عشيرتك من ملكية إلى نبيلة وستحتل المرتبة الأخيرة

باهر: أمرك

نظر الملك وقاص للسيدة ثراء وقال: وكما تجري التقاليد سترتقي عشيرة السرطان مكان رتبة عشيرة الجوزاء

ثم نقل بصره إلى العشائر النبيلة وأكمل: وجميع العشائر النبيلة سترتفع رتبة، وأما عن أولاها فسترتقي عشيرة الدلو لتصبح عشيرة ملكية

صمت قليلاً ثم أكمل: والآن سينفذ حكم الإعدام شنقاً في حق المجرم

خرجت جميع العشائر إلى الساحة الخارجية أسفل منصة الإعدام، واكتفى الملك بالرؤية من الأعلى

جر جاثم إلى المنصة وكانت حالته غريبة متبلد الحال وجامد الوجه، كما لو أنه تقبل مصيره أو أنه يدرك فداحة ما يحدث

واقفاً يحدق في اللا شيء بينما يضع الحارس الحبل حول رقبته

تمتم جاثم: فلتصبكم لعنة الإله أرشكيجال

دفع جسد جاثم إلى خارج المنصة ليصارع الموت حتى خارت قواه وكُتمت أنفاسه ليغادر مظلوماً هو بدوره

- بعد أن قُضي الأمر توجه أسياد العشائر الاثنتي عشرة نحو قاعة مخصصة لهم فقط برفقة الملك، قاعة صغيرة بقبة زجاجية زاهية الألوان قد رتبت وصفت المقاعد بعضها بجانب بعض لتتشكل كحلقة متصلة، فوق كل مقعد الشعار النجمي للعشيرة وتوسط القاعة منبر صخري ملطخ بالدماء

جلس الجميع في أماكنهم وبقي مقعد عشيرة الجوزاء خاوياً إذ كان يقف سيدها في المنتصف ينتظر بتر يده اليمنى، نظراً لإخفاقه في ضبط عشيرته

اقترب الملك وقاص وبرفقته رجل ملثم يجر سيفه من خلفه، ما أن اقترب الملك من الحلقة حتى جلس في المقعد الثالث عشر، وهو مقعد المُلك

الملك وقاص: السيد باهر من عشيرة الجوزاء

السيد باهر: مولاي!

الملك وقاص: انطق باسم من بعدك

السيد باهر: جهينة

الملك وقاص: في هذا اليوم وأمام بقية الأسياد جرد باهر من لقبه، ووريثته هي السيدة جهينة من عشيرة الجوزاء

جميع الأسياد: هنيئاً لمن فعل وخسئ من لم يفعل

الملك وقاص: ما يحدث في هذه القاعة ليس بتشهير إنما تذكير لجميعكم أن تضبطوا عشائركم وتقتلعوا الظلم من جذوره، هنيئاً لمن فعل وخسئ من لم يفعل

نظر الملك وقاص للرجل الملثم وأمره بقضاء أمره

ليقترب الرجل من باهر الذي وضع يده اليمنى على المنبر الصخري، لاح السيف عالياً ليأخذ الرجل نفساً عميقاً ثم قام بسرعة خاطفة ببتر يد باهر، صرخ باهر متألماً نازفاً

أدار الرجل ظهره وغادر كما دخل وهو يجر سيفه الدامي خلفه

- عادت إلى عشيرتها منتصرة بنشوة السعادة فيا له من يوم مبهج أن تنتقم من الجوزائيين وترتقي عشيرتها، وما أن دخلت منزلها حتى التقت نظراتها بنظرات ابنتها مزدانة

ثراء: ما الذي تفعلينه هنا؟

مزدانة باستغراب: لا أفعل شيئاً إنما أقرأ كتاباً

ثراء: لحسن حظك أنني بمزاج جيد وإلا لقتلتك درساً

مزدانة: هل انتقمتِ أخيراً من الجوزائيين؟

عقدت ثراء حاجبيها: ما الذي ترمين إليه يا مغفلة؟

مزدانة: ألم يكونوا السبب في مصرع أبي وجدي؟

اقتربت ثراء من ابنتها وشدت رداءها بقوة باتجاهها وقالت بحدة: ومن أخبرك بهذا الكلام؟!

مزدانة: افترضت ذلك فقط

بانفعال قبضت على خصلات شعرها بقوة وقالت بينما تصر على أسنانها: ما الذي يدور في ذهنك القذر؟

مزدانة: لا شيء

ثراء بحدة: ستندمين

مزدانة بتحدٍ: أعلم أنه كان بريئاً

ثراء: من تقصدين؟

مزدانة: جاثم

تغيرت ملامح ثراء لغضب تام ثم شدت قبضتها على خصلات شعر ابنتها فصرخت متألمة

ثراء: ما الذي تتفوهين به يا فاسدة؟

مزدانة بتحدٍ: كما سمعتني

أرخت ثراء قبضتها ثم صفعت ابنتها بقوة ولم تكتفِ عند هذا الحد بل استخدمت السحر لتعذبها حتى غابت عن وعيها

- بعد مرور وقت طويل فتحت مزدانة عينيها بتعب وشعرت بهوان حالها، الرؤية غير واضحة وضجيج آذى سمعها ثم تدريجياً عادت حواسها لطبيعتها لتميز ما يجري من

حولها وما كان سبب الضجيج المزعج

أحدهم: تم الاتفاق إذاً

ثراء: هذا الأصلح لنا جميعاً

أحدهم: ولكن مرجانة لن ترضى بتاتاً

ثراء: ستنصاع للأوامر

: مزدانة

نهضت مزدانة بتعب ونظرت حولها ووجدت نفسها في قاعة اجتماعات العشيرة لم تفهم في بادئ الأمر ما الذي أتى بها إلى هنا حتى نطق أحد كبار العشيرة قائلاً

: تم الإقرار بيننا بالإجماع على طردك من العشيرة ومن بابل ذاتها

ثراء: ولا أود رؤيتك ما حييت وإلا مزقتك إرباً

: سنرسلك مع تابع لنا خارج أسوار بابل ومن اليوم وصاعداً أنتِ لا تنتمين لهذه العشيرة يا ذات النسب الدخيل

غادرت متهالكة متعبة أمشي متخبطة غير عالمة بما يخبئه القدر لي خارج أسوار بابل، أتعثر وأنهض متحاملة على نفسي لأنجو من مُر الحياة أو لأحظى على الأقل بميتةٍ هادئة، سرت لأيامٍ وليالٍ طويلة بين المروج ودون أي وجهة حتى قادتني قدماي لضفاف الفرات وأسقط هناك

- داخل بابل

: لماذا فعلتها؟

ثراء: أمر قد قضي وإياك أن تجادليني به

مرجانة: وعدتني أنك لن تفعليها

ثراء: وُجدت الوعود لتُكسر

مرجانة بتحدٍّ: سأغادر لأبحث عنها

ثراء بتهديد: ستُنبذين إن فعلتها

مرجانة: لا بأس، لن يرفعك غيري وبدوني هذه العشيرة هالكة لا محالة

عقدت ثراء حاجبيها غاضبة وقالت بأعلى صوتها: إن كررت حديثك الفارغ فستندمين يا مرجانة

غادرت مرجانة على عجل لتبحث عن أختها لولا أن استوقفها زوجها المنذر

: حاولت أن أجدها لكن والدتك قد أخفت أثرها

مرجانة: ماذا تقصد؟

المنذر: لم يجدها المتقفي

مرجانة: لكل مشكلة حل

المنذر: دعك منها يا مرجانة ربما تكون قد فارقت الحياة

من السباع

مرجانة: هراء!

المنذر: ابنتك ستفتقدك

مرجانة: ستكبر على كنفك إن حانت منيتي

المنذر: سأغادر معك

مرجانة: وسهر!

المنذر: ستبقى مع جدتها إلى أن نعود

العهود

زقزقت العصافير مع حلول الصباح، كان الجو لطيفاً وأشعة الشمس دافئة مع اقتراب الربيع، انتشرت البهجة في أرجاء القرية كلٌّ كان مشغولاً بتحضيرات الزفاف، فلم يُقَمْ زفاف منذ سنين طويلة حتى كاد يفقد الناس الشعور بتلك الفرحة العارمة، وأخيراً قد أتى اليوم المنتظر للعاشقين أن يتعاهدا ويكملا حبهما بالارتباط المقدس

أحبَّ الجميع آدم لطيبة قلبه وحبه لفعل الخير ومساندته للجميع، بينما أحبُّوا جميلة لرقتها ولطف تعاملها مع الجميع وجمالها الآسر، هذا اليوم كان مميزاً مبهجاً على عكس بقية الأيام والأفراح، في هذا اليوم ستكتمل الفرحة التي يتمناها كل عاشق وعاشقة

: جميلة، ألم تجهزي بعد؟!

جميلة: أوشكت يا أمي تمهلي قليلاً

مهيرة: لم يتبقَّ وقت طويل الجميع في انتظارك

جميلة: قادمة

أقبلت جميلة بفستان أبيض جميل وناعم كشف عن نحرها ونصف ظهرها، تضع على رأسها طوق ورد أبيض تدلى من خلفه قماش أبيض شفاف، زين نحرها بقعد من اللؤلؤ وتقلدت حلقاً من اللؤلؤ

مهيرة: ما أجمل طلتك يا جميلتي

احمرت وجنتا جميلة من الخجل ثم قالت: حقّاً؟

مهيرة: تخطفين الأنظار، أتساءل ما الذي سيصيب آدم عندما يراك أنا واثقة أن قلبه سيذوب

ضحكت جميلة بحياء ثم قالت: كفى يا أمي أشعر بحرارة في جسدي

مهيرة بابتسامة لطيفة: هيا بنا فعريسك ينتظرك عند المعبد

عندما اقتربت من المعبد بدأ العزف على الأوتار والناي، زفت جميلة على أنغام ساحرة، تساقط الورد من حولها بجميع ألوانه ثم حلقت الطيور من فوقها وكأنها تعلن عن انتصار أحدهم في معركة كاد أن يسقط بها مغشيّاً عليه، اقتربت جميلة من آدم الذي كانت عيناه تلمعان من شدة حبه لها، مد يديه إليها ليساعدها على صعود العتبة ثم وقف الاثنان بعضهما أمام بعض بجانب المنبر الذي كان يقف من خلفه رجل طاعن بالسن

همس آدم لجميلة: تهزمينني في كل مرة تطلين بها، ويخضع قلبي في كل مرة تتباهين بها

احمرت خجلاً واكتفت بابتسامة ساحرة

الرجل: فليتبادل العروسان عهودهما

آدم:

قبلتُ بكِ أماني ومأمني

قبلتُ بكِ مهجتي ومضجعي

قبلتُ بكِ ملاكي وملاذي

قبلتُ بكِ مقلةً لعيني

جميلة:

قبلتُ بكَ جنتي وجبري

قبلتُ بكَ جَسُوري وجناحي

قبلتُ بكَ جوهري وجلائي

قبلتُ بكَ أنيساً لروحي

الرجل: آدم، أتقبل جميلة زوجة لك؟

آدم: أقبل

الرجل: جميلة، أتقبلين آدم زوجاً لك؟

جميلة: أُقبل

الرجل: أعلنكما زوجاً وزوجة وعسى أن تخلد قصة حبكما، عسى أن يؤنس أحدكما الآخر، عسى أن تكونا أماناً ومأمناً بعضكما لبعض وعسى أن تترابط أرواحكما في هذه الحياة وما بعدها

تبادل العريسان الدبل وسط تهليل ودموع فرح ملأت المعبد، تبريكات وتباشير

أما الآن فوعد التخليد وهو أن يكتب كل من العريسين اسمه على صخرة ويضعاها في أي مكان لتخلد قصة حبهما

الرجل: وقت التخليد، أحضروا الصخرة

قدم أحدهم وهو يحمل بيديه صخرة ووضعها على المنبر، ثم قام الرجل بوضع السكين المقدس بجانبهما، بدأ آدم وقام بإحداث شق في يده حتى نزف وأخذ يدون اسمه بدمه على الصخرة، وبعد أن أنتهى قامت جميلة بتدوين اسمها بعد ما شقت يدها

ما أن انتهيا من التدوين حتى حمل آدم الصخرة بيده وأمسك بيده الأخرى يد جميلة ثم سارا خارج المعبد وهما يكادان يطيران من شدة الفرح، خرج جميع سكان القرية من خلفهما ولكن دون أن يتبعهما أحد، اكتفوا بالنظر إليهما بسعادة وفرح حتى اختفيا على أنظارهم

- اجتمعت غيوم سوداء محملة بالمطر وهبت ريح باردة متوسطة الشدة، ورغم أن أهالي القرية يتشاءمون من هذه الأجواء خصيصاً لو صادفت وقت فرح أو زفاف، إلا أنهما لم يعيرا تقلب الجو أي أهمية ففرحتهما لا تستطيع أي قوة بالأرض أن تحرمهما إياها، وسط ضحكات آدم وجميلة واقترابهما من المكان الذي اتفقا عليه سابقاً، كان منبع وادٍ جارٍ وعلى جانبه شجرة معمرة لأكثر من ألف سنة، عند اقترابهما منها وضع آدم الصخرة أسفلها ثم تراجعا للخلف، تعكر صفو مزاج آدم فجأة عند رؤيته لحمامة بيضاء فوق تلك الشجرة، وفجأة عدة غربان قد بدأت تنعق من فوقهما

توتر آدم وقرر أن يعود هو وجميلة أدراجهما لشدة قلقه على زوجته وعدم رغبته بأن تفعل ليليث شيئاً لها، أو أن تؤذيها مجدداً

جميلة: ما بك يا آدم؟

آدم: لنعد فقد تقلب الجو

جميلة: معك حق وما أثار دهشتي هو رؤية هذه الغربان تحلق من فوقنا رغم انقلاب الجو واقتراب هطول مطر شديد

آدم بقلق: معك حق شيء غريب، لنعد حالاً

جميلة بشيء من الضيق: أتعلم؟ ظننت في بادئ الأمر أنها مصادفة ولكن أن تأتي علامتان فهذه ليست بمصادفة

آدم: ما الذي تقصدينه؟

جميلة بحزن: انقلاب الجو في الأفراح هو نذير شؤم، والآن غربان تحلق من فوقنا نحن فقط

أكملت: لا بد أن هذه الفرحة لن تدوم إذ إن الطبيعة تعترض

آدم: لا شيء سيقف أمامنا ولا حتى الطبيعة نفسها، وهذه ليست إلا خرافات قديمة

جميلة: أتمنى ذلك من كل قلبي

بدأ المطر يتساقط بغزارة وحلقت الغربان بعيداً عن آدم

وجميلة، ضحك الاثنان بعد أن تبلا وأمسكا بعضهما بأيدي بعض ثم ركضا عائدين أدراجهما إلى القرية

انتظر أهل القرية آدم وجميلة بقلق بسبب هطول المطر، وما أن رأوهما يركضان وهما ضاحكان حتى ابتسموا وقاموا بالتصفيق والتهليل لقدومهما

قال البعض: مرحباً بعودتكما أيها العروسان

قال البعض: مبارك لكما

مهيرة: لندخل إلى المعبد فقد حضرت نساء القرية مائدة للجميع بهذه المناسبة

عاد الجميع إلى المعبد وبدأ الاحتفال وعادت الموسيقى تملأ المكان سحراً، بينما اكتفت تلك الحمامة بالنظر من إحدى نوافذ المعبد دون أن ينتبه أحدٌ لها

- بعد شهرين، نما في رحم جميلة جنينها وكان الجميع سعداء بهذه البشارة، رغم تغير طباع جميلة إلا أن جميعهم كانوا يعذرونها بسبب وضعها، إلا آدم الذي كان قلقاً بشدة عليها

عدت مبكراً ذلك اليوم ورغم دخولي للمنزل وحديثي مع جميلة إلا أنها كانت شاردة تنظر من خلال النافذة، ما أشغلني أن هذه لم تكن المرة الأولى التي أراها بها على هذا الحال، وما زاد حيرتي أنها بدأت تحدث نفسها قائلة

: كلا لن يظن آدم كما تقول

: لقد أخبرتك أنه لن يفعل هو زوجي وأنا أعرفه أكثر منك

: أنت تعلم أنك غريب أطوار وذو خيال واسع

: لن أسمح لأحد بأن يؤذي طفلي ولن يأخذه أحد مني

: كف عن مضايقتي أنا لا أود رؤيتك مجدداً

قاطعت حديثها الغريب مع نفسها وقلت

آدم: مع من تتحدثين؟

جميلة: مع هذا الرجل الأشيب

آدم بقلق: جميلة هل أنت بخير؟

جميلة: أجل أنا بخير، إنما هو يزورني دوماً ويملأ رأسي بأحاديث غريبة عن أنك تراني مجنونة

ثم نظرت إليه عندما لاحظت تغير معالم وجهه وقالت: هل ما يقوله صحيح؟ أتظنني مجنونة يا آدم؟

آدم بتلعثم: كلا يا جميلة إنما أظن أنها مرحلة وستمر بمجرد أن تلدي طفلنا بسلام

ابتسمت جميلة ثم عاودت النظر للنافذة وقالت: هل رأيت الآن؟ أخبرتك أنه لن يظن أنني مجنونة، هيا غادر حالاً ولا تعُدْ فلم أعد أطيق النظر إليك

ثم أدارت ظهرها وعادت إلى حجرتها وهي عابسة من هذا الرجل الأشيب

مهيرة: أتظن أنها جنت بعد ما غابت عن وعيها لوقت طويل؟

نصير: قد استعجلنا بجعلها تتزوج

مهيرة: معك حق

آدم: هذا ليس وقتاً للندم، ما الذي يجب علينا فعله لتعود لوعيها؟

نصير: لا علم لي حقّاً

مهيرة بضيق: ما هذه اللعنة التي أصابتها؟!

نصير: هذا ليس وقتاً للنحيب

آدم: لا أعلم حقّاً ما الذي يجب علي فعله

نصير: سنرى ما يمكننا فعله

- عاد آدم لمنزله وأخرج زفيراً طويلاً قبل أن يفتح باب منزله فز قلبه عند سماعه لصرخاتها داخل المنزل، فأسرع يبحث عنها حتى وجدها تصرخ بكل خوف وتقول

: ابتعد عني!

آدم: اهدئي يا جميلة ما الذي أصابك؟

بدأت جميلة بدفع آدم وهي تقول

: اتركني أيها الحقير، ما أن يأتي آدم حتى يقتلك

آدم بفزع من تدهور حالتها: أنا هنا يا جميلة ألا ترينني؟

جميلة بصدمة: آدم!، أين أنت يا آدم؟

آدم: أنا هنا بجوارك يا جميلة

جميلة بصراخ: كلا أنت تكذب!

آدم: أنا آدم يا جميلة صدقيني!

جميلة وسط دموعها: لا أستطيع أن أراك يا آدم، لا أستطيع أن أراك

آدم: ما الذي ترينه يا جميلة؟

جميلة ببكاء: جهة مخيفة ومسودة من بيتنا

بداية النهاية

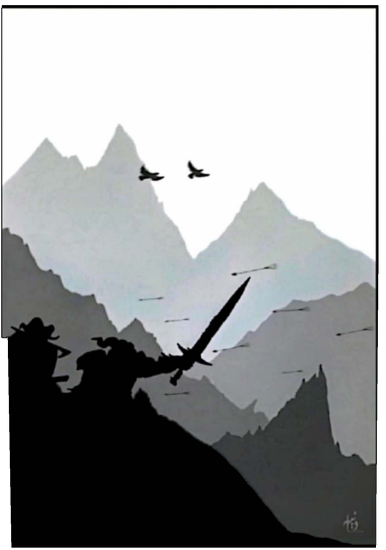

الحكيم: حكمت الأرض بالكثير من الأسياد ولكن كبقيتهم لا سيادة تدوم، فما أن يخلق خلق في الأرض حتى يفسدوا ويسفكوا الدماء

أكمل الحكيم قائلاً: قبل خلق البشرية بملايين السنين أنزل أول خلق في الأرض ألا وهم الجن والبن، عاشوا سنين عديدة على الأرض ما بين صلاح وفساد ولكن يمر الخلق ما بين ثلاثة ارتفاعات وأربع مفاسد وآخرها تكون أشدها فساداً وفتنة في الأرض، ففسد الجن والبن فسادهم الأخير وسفكوا بعضهم دماء بعض، وحدث ما لم يكن بالحسبان ألا وهو عقاب أنزل عليهم من سكان السماء وتم إبادتهم، وانتهى عصر وبدأ عصر جديد بخلق آخر أنزل على الأرض ألا وهم الجن.

- في مكان بعيد حيث كانت تستقيم قلعة على أرض واسعة ذات أبنية شاهقة، تقف شامخة ولا تميل أمام أي كارثة أو حرب، فتحت أبوابها بعد ما اقترب منها وفد مكون من خمسة عفاريت بينهم رسول، دخل الوفد برفقة حارسين إلى قاعة العرش ثم انحنى الجميع تبجيلاً لملك الغيلان حتى أذن لهم الملك بالحديث

الرسول: أحمل لك أيها الملك جبروت رسالة من ملكي

الملك جبروت بغلظة: أفصح عنها أيها العفريت

أتى وقت تتحد فيه صفوفنا

فقد قسمت الأرض إلى نصفين

ولاحت حرب في الأفق البعيد

إني آمل أن يعود مجدنا وعهدنا

فوجودك فخر يحني له الملوك

لنلتقي مع مطلع الشمس في أرضنا الموعودة

الملك بطاح

غادر الوفد بعد أن تلقى تأييد ملك الغيلان

ملك الغيلان: أحضر إلي جرم وجسور

ساعد الملك: أمرك مولاي

غادر ساعد الملك وما هي إلا لحظات حتى عاد وبرفقته جرم وجسور

جرم: ما الأمر يا والدي؟

جسور: هل هناك أمر طارئ لاستدعائنا؟

وقف ملك الغيلان بهيبته وضخامته من عرشه وأمر جميع حراسه بالخروج من قاعته، بعد أن استأذن الجميع ملكهم وغادروا

أغلقت أبواب قاعة العرش لتهز أركان القلعة الصخرية الشامخة الخاضعة لملكها الأعظم جبروت الباطش

قال الملك: وصلني رسول من العفاريت بطلب حلف بيننا وبينهم تجاه عدو مشترك

جرم: هل فعلت الشياطين شيئاً للعفاريت؟

جسور: هل أنت واثق يا والدي من كلامه؟ فالعفاريت ليست بموالية لنا

الملك: قد انقسمت الأرض إلى حلفين فقد تحالفت الشياطين مع المردة وبرفقتهم الجن

جسور: أمرهم غريب فالمردة هي حليفنا الأوحد، لا أثق بكلام ملك العفاريت

جرم: جسور معه حق يا والدي

جسور: هناك أمر مريب

خرج الملك عن صمته ثم قال: أعلم ما هي مخاوفكما، ولكن لا بأس لنهب العفاريت الحلف الذي تريده

جرم: يا والدي قد انقض تحالفنا معهم منذ أعوام ماضية، هناك مكيدة خلف هذه الحرب يجب أن نحترس

الملك جبروت بحدة: أنا الملك جبروت لم أحكم لأحترس وهم من يجب عليهم أن يخشوا غضبي

جسور: أنا متحفظ تجاه ما يجري ولست مرتاحاً لطلب الحلف من ملك العفاريت

الملك جبروت: أنا لست والدكما الآن بل ملككما، قد سمعتما رأيي لذا سأعيد مجد الغيلان فهذه التحالفات لا تناسب طبيعتنا

جرم: أمرك يا مولاي

جسور بإحباط: أمرك يا مولاي

الملك الجبروت: اذهب يا جرم برفقة عدد من الغيلان إلى مملكة العفاريت وطالبهم بمعرفة التفاصيل

جرم: أمرك مولاي

غادر جرم بينما انتظر جسور أمره

أكمل الملك جبروت بغلظة وحدة: أما أنت يا جسور فمن تظن نفسك؟، عفريتاً أم شيطاناً مغفلاً؟

جسور مدافعاً: كلا يا مولاي!

الملك جبروت بزمجرة: إياك أن تقاطعني مجدداً، كما كنت أقول أنت لست كأي نوع من أبناء الجن، أنت من الغيلان الفخور ولا تنسَ أن كبرياءنا يصل إلى عنان السماء

جسور: لكن يا والدي أنت تعلم أيضاً ما حدث للملك القاتم قد أهلكه كبرياؤه

الملك جبروت بصوتٍ عالٍ: أتجرؤ على عصيان ملكك؟ أتجرؤ على معارضتي؟ قد اتخذ كل من على الأرض جانباً وآن دور الغيلان للاختيار

أتى صوت لم يود جسور سماعه في هذه اللحظة

قال صاحب الصوت بينما يقترب من ملكه: اهتممت

بالغيلان ونسيت أن تهتم بخلفتك!

نظر جسور إليه بغيظ وحقد فهو يعلم مدى خباثة أفعال ولذاعة لسان عمه العاث

الملك جبروت: أين كنت طيلة هذه المدة؟

العاث مبرراً: أنا عبد ضعيف يا سيدي جبروت وأخ أضعف من أن ينوي بك فساداً، قد كنت أتعبد لإلهنا الأوحد معتكفاً في أحد الكهوف داعياً أن يديم علينا بركاته ويطيل بعمرك وحسن حكمك وجميل أفعالك

جسور بغيظ: ما هذا الهراء الذي تتفوه به؟

جبروت: صمتاً!

صمت كل من العاث وجسور

نظر الملك إلى جسور بغضب ثم قال: قد أخبرتك يا جسور أنت وأخاك أن تحترما عمكما، لكنه على حق قد فشلت في تربيتكما، لذا عقاباً لك ستبقى حارساً للقلعة بينما نخوض حربنا

جسور بانفعال: كلا يا أبي لا تجبرني على البقاء هنا!

الملك جبروت: قد قضي الأمر

أخفى العاث ابتسامته ثم قال: رفقاً به يا سيدي

جسور: أنت السبب وراء كل هذا

الملك جبروت: فليتأهب الجميع يا عاث

العاث: أمرك يا سيدي

الملك جبروت: غادر برفقته

غادر جسور محطماً من أبيه فاقداً الأمل من أن يتنازل أبوه عن عقابه

العاث: خير لك أن تطيع أباك هذه المرة

جسور بامتعاض: خير لك أن لا تحادثني أيها العاث

العاث: ها أنا قد ظننت أنك تعقلت وأنصت لأبيك، يبدو أن الأرض ستنشق وتبلعنا قبل أن تتغير

جسور: أنت منافق جدّاً، أتمنى أن يأتي يومٌ ما يراك أبي فيه على حقيقتك

ضحك العاث بقوة ثم قال: لا ترفع سقف آمالك كثيراً فهذا اليوم لن يأتي أبداً

غادر جسور ناقماً حاملاً ضغينة تجاه عمه ثم تملك الشك من قلبه

- عاد جرم محملاً بتفاصيل ما يجري ليخبر أباه حول مخططات الحلف، غادر من قاعة العرش بأسرع ما يمكن قاصداً الذهاب لأخيه

جرم باندفاع: ما الذي جرى أثناء غيابي؟

جسور ببرود: أتى العاث

جرم: وماذا حدث بعدها؟

جسور: ألا تعلم كيف يصبح والدنا عندما يحضر العاث؟ شيء ما يخبرني أنه يخطط لأمر ما

جرم: لا بد أنه لا يزال طامعاً بالحكم

جسور: وما الطريق الأمثل لتوليه الحكم دون أي نزاعات داخلية؟

جرم: الحرب

جسور: بالضبط، لا يعقل أن تطلب العفاريت أي تحالف مع الغيلان بعد ما نقضوا العهد منذ سنين

جرم: معك حق، ربما هي مؤامرة ضد أبينا

جسور: ماذا سنفعل الآن؟ لقد حرمت من الانضمام إليكم وأصبح أمر حماية والدي بين يديك

جرم: سأحمي ظهر أبي لا تقلق

جسور: هناك شيء ما أود إخبارك به

جرم: ما هو؟

جسور: لقد اختفى العم لعدة ليالٍ ثم ظهر من العدم بعد أن غادرتم خلف الوفد

جرم: هذه ليست مجرد مصادفة ربما قد خطط لها

جسور: معضلتي معه أنني أعلم جيداً كم هو ماكر ولكنه

ليس بهذا الذكاء

جرم: ولكن ألم يتدخل أثناء جدالك مع والدي؟

جسور: بلى، أيعقل أنه تعمد اختيار هذه اللحظة ليزيد من انفعالي؟

جرم: ويحرمك والدي من المشاركة بالحرب

جسور: لكن ألن يكون مستفيداً أكثر إن حرمنا نحن الاثنين معاً؟

جرم: ربما لم يتوقع أن يرسلني أبي خلف الوفد

جسور: معك حق، ولكن ما يغيظني هو وقوع أبي ضحية فعله الخبيث

جرم: من كان يظن أنك ذكي لهذه الدرجة؟

جسور: كما كنت أقول من قبل: أنت ملكتَ القوة بينما أنا ملكت الذكاء

جرم: معك حق

جسور: هل تظن أن أبي قد وقع حقّاً ضحية خداع عمي؟

جرم: ألا تخجل من نفسك؟! أنت تتحدث عن أعظم وأضخم غول شهدته أبناء الجن يوماً، ولا أظن أن والدي قد خُدع كما تقول، ربما أنه يريد كشفه في لعبته التي حاكها

جسور: آمل فعلاً أن تصدق بكل ما تقوله

جرم: ثق بأخيك الأكبر

جسور: حسناً، حسناً

سار جسور بمحاذاة الشرفة ثم خرج يتأمل الأراضي الشاسعة التي يمتلكونها، فكلما فازت الغيلان بحرب ضد أي من ممالك الجان الأخرى نهبت أراضيهم وممتلكاتهم، وما عدو الغيلان إلا الشياطين، بينما عدو العفاريت هم المردة، والجن العمار عدوهم الوحوش، فكلٌ حسب مدى قرب حجم منافسه منه، فلا نزاع بين قوي وضعيف فهذه المخلوقات تحب التباهي بقوتها لمن في مستوى نطاق قوتها

- داخل قاعة العرش حيث انتظر ملك الغيلان اقتراب شروق الشمس حتى ينطلقوا إلى حربهم، أتاه العاث ليحاوره

العاث: هل أنت متيقن مما توشك على فعله؟

الملك جبروت: هل تراودك الشكوك مثل جسور؟

العاث: لا يا أخي فأنا أثق بحكمك إلا أنني هذه المرة أميل إلى جسور في قلقه

الملك جبروت: أمر قد قضي يا عاث

العاث: أخبرني فقط بما يدور في ذهنك

الملك جبروت: كل ما في الأمر هو أنني مللت السلام

ضحك العاث بجنون ثم قال: يا لك من غول متهور

أكمل العاث: ولكن ألا تظن أنك قسوت على جسور بحرمانه المجيء؟

الملك جبروت: حان الأوان حتى يتعلموا تبعات أقوالهم

العاث: معك حق

الملك جبروت: أخبرني إذاً ما الذي استنتجته أثناء رحلتك؟

العاث: سمعت من إحدى القبائل أن المردة قد تمردت وقامت بالاستيلاء على بعض أراضي العفاريت

الملك جبروت مستهزئاً: حركة غير مدروسة من قبل المردة

العاث: فعلاً وهذا ما لم يعجبني، فلم تقوم المردة بهذه الحركة ومن ثم تتحالف مع الشياطين؟

الملك جبروت: منذ أن تولى ملك المردة الصغير الحكم وقد بدأت مملكتهم بالتخبط، وماذا عن أعدائي؟

ابتسم العاث ثم قال: كعادتهم يحاولون بكل يأس أن يثبتوا لبقية الأنواع مدى تماسكهم

الملك جبروت: طوال تلك السنين والحروب العديدة التي شُنت ضدهم إلا أنهم لا يلبثون أن يلموا شتات أنفسهم في سنين بسيطة وهذا أكثر ما يخيفني بهم

العاث: فعلاً، رغم ضعفهم أمامنا إلا أنهم لا يعرفون

معنى الانهزام والذل، على أي حال لقد اقتربت الشمس من الشروق وقد تأهبت الغيلان وهم ينتظرون قيادتك

وقف الملك جبروت بهيبته وكبريائه وسار بخطوات ثابتة واضعاً الشياطين صوب عينيه، فتحت أبواب قاعة العرش ودق البوق معلناً خروج أعظم مخلوقات الجن على التاريخ، كان الملك جبروت هو أضخم الغيلان وأبطشهم وأكثرهم حنكة وذكاءً

انحنى الجميع تبجيلاً للملكهم قائلين: أنت الآمر والناهي، وأنت الأقوى فلا مَلكٌ بعدك يأتي

الملك جبروت بغلظة:

لقد أرعبت الشياطين دائماً

فأين ما حلوا حللت معهم

وكلما قاموا خسفت بهم

إن متعتي هي رؤية انكسارهم

فجبروت خلق ليبطش بهم

وأي جبهة اختاروا أتيت ضدهم

والويل لكل من تواطأ معهم

هللت الغيلان وعادت تكرر: أنت الآمر والناهي، وأنت الأقوى فلا مَلكٌ بعدك يأتي

نظر الملك جبروت بكل فخر بين غيلانه الذين اجتاحتهم

نشوة للقتال، تعطش للدماء وجنون جامح للقتل

عاد الملك جبروت وقال بصوته المهيب: نحن ملوك الأرض وأسيادها

اهتزت المملكة ووصل صدى صوت الغيلان لمدىً بعيد جدّاً

سار الملك بين صفوف الغيلان حتى اقترب من صفها الأول ثم ألقى بنظرة خاطفة لابنه جسور الذي بادله بنظرة محطمة، تجاهله جبروت ثم قال بصوت جهوري

: سيروا يا جنودي إلى أرضنا الموعودة

- في جهة أخرى على الأرض، فُتحت أبواب قاعة العرش على مصاريعها لتتوجه جميع الأنظار إليها متعطشين لما يحمله الوفد من رد، فعلى هذا الرد علقت الآمال والأحلام، فقبول التحالف يعني الخلاص، اقترب الوفد من ملكهم وأعينهم تنبض بالحياة

الملك بغرور وبلا مبالاة: آمل أنكم أتيتم محملين بما أود سماعه؟

الرسول: نعم يا مولاي، لقد قبلت الغيلان بتحالفنا

ابتسم الملك بمكر ثم قال: أحسنتم

وجه الملك بطاح نظره إلى مساعده ثم قال: أخبر عفاريتي أن تتأهب يا جمعان

جمعان: أمرك يا سيدي

بعد أن غادر الجميع استعداداً للحرب، بدأ الملك يهمهم ويغني بنشوة وسعادة ثم قال بينما يسكب خمره على رأسه

: سأعود سيداً يا أرضي، انتظري قليلاً فقط فإن بطاح يكاد يمسك بالقوة المطلقة

ثم نهض وهو يحرك جناحيه ليُبعد بقايا قطرات الخمر من على جسده وبات يسير ذهاباً وإياباً، حتى لفت ناظريه انضباط عفاريته بين صفوفهم، فمملكة العفاريت تشيد دوماً فوق الجبال والمرتفعات ويبقى أسفل الجبل ساحة للجنود

قال بهيام شديد: يا لصغر أجسامكم يا جنودي الصغار

قوطع صفو الملك عندما دخلت آخر من يتمنى رؤيتها مقاطعة صفو مزاجه: من سماعي لضحكاتك أظن أنك حققت مبتغاك

نظر الملك إليها بعبوس: لماذا تستمتعين دوماً بقطع خلوتي وتعكير بالي؟

: فكر ملياً يا بطاح في ما توشك على فعله

الملك بطاح: فكرت ملياً ولا أجد سوى إجابة واحدة، تغيرت نبرة صوته لحدة مخيفة ثم أكمل: ألا وهي السلطة المطلقة

: ألم تتعلم بعد؟!، ألا ترى حال الشياطين؟ فكل هذا

حدث لأنهم طمعوا بالسلطة، لذا استيقظ ولا تكرر فعلة أبيك أيضاً

الملك بطاح: كفاك هذراً لقد قتل أبي بسبب ضعفه، وكي أثبت لك دهاء ابنك لقد انضمت الغيلان لمصلحتي

الملكة الأم: لا تعرف الغيلان سوى مصلحتها لذا لا تغتر بتحالفهم معك

الملك بطاح: بالطبع لذا هم مشاركون لتلقين الشياطين درساً مجدداً

الملكة الأم: أتعبت حالي بطيشك ووهن جسدي من خوفي عليك

الملك بطاح: فلتموتي إذاً

ابتسمت الملكة الأم بحزن وغادرت تجر ضعف حيلتها

قبل أن تغادر الملكة قاعة العرش قال الملك بطاح

: نسيت أن أخبرك شيئاً آخر

الملكة الأم: ماذا تريد؟

الملك بطاح ببرود: لا أريد رؤيتك مجدداً

الملكة الأم: كما تأمر يا مولاي

شعر الملك بطاح بنصرٍ لذيذ لرؤية والدته كسيرة ذليلة، فشعر وكأنه قد أذبل آخر زهرة حملتها بقلبها

لملمت شتاتها وقررت أن تغيب مع غروب الشمس فلم تعد تملك سبباً لبقائها في مملكتها، غادرت بأسىً تاركة خلفها ابنها الذي لم يعد يطيق وجودها حوله، غادرت وكل ما تملكه هو ذكريات وطن، ذكريات الراحلين وآخر ذكرى عن ابنها

- فتح باب العرش واستأذن جمعان ملكه للدخول، فأذن له الملك

جمعان بارتباك: لقد غادرت الملكة قبل قليل

الملك بطاح: ظننت أن هذا اليوم لن يأتي أبداً

جمعان بعبوس ونبرة لم يسمعها الملك من قبل

: والدتك كانت ملكة لم ترَ العفاريت مثلها من قبل

ثار الملك غاضباً وقال: ما هذه النبرة يا جمعان؟، أتتعالى على ملكك يا مغفل؟ أنت مجرد خادم عندي وأنا لا أحب من لا يملك ولاءه لي

نهض من عرشه بسرعة بعد أن أنهى جملته ثم قبض بيديه على جمعان الهزيل والذي استسلم فوراً، بدأ الملك بلكم جمعان بكل تهور بينما اكتفى الحراس بالنظر لجنون هذا الملك

نهض بطاح بعد ما انتهى من تمزيق جمعان ثم أمر حراسه بأن يحملوا جثته ويلقوا بها بالخارج، دون أن يبالي لحرمة جثته

حمل الحراس الجثمان وخرجوا به من أسفل الجبل وسط ذهول العفاريت، فلا يعرف هذا الملك أي معالم الرحمة، خيم الحزن بينهم لعلمهم أن لا قيمة لحياتهم عند مصالح الملك المجنون

- قبيل مطلع الفجر صدر صوت جرس عملاق من أعلى الجبل معلناً تأهب الجميع، خرج الملك من أسفل الجبل إلى الساحة الكبرى ونظر لعفاريته بتعالٍ ثم قال

: ما أجملكم يا عفاريتي، هيا ابسطوا أجنحتكم وحلقوا إلى الأرض الموعودة

- تهتز الأرض كلما اقتربت الغيلان من نقطة بينما تسود السماء كلما اقتربت العفاريت، ها قد حانت اللحظة التي قسمت الأرض فيها إلى قسمين لينتشر الفساد وتحل أعظم الفتن بين أبناء الجن، التقى أبناء الجن في حرب ستكرر للمرة الثانية بعد مضي قرون عديدة

هبط ملك العفاريت هو وجنده بجانب الغيلان، اقترب الملك بطاح مبتسماً من الملك جبروت مخفياً ارتباكه الرهيب ثم قال

: أشكرك على قبولك بإحياء هذا التحالف بعد كل هذه السنين

الملك جبروت بغلظة دبت الرعب في العفاريت وملكهم: كلانا يعلم أن هذا ليس لأجل إحياء تحالف قد اندثر لسنين

شعر الملك بطاح بغصة ثم قال بصوت ركيك: مع ذلك أنا ممتن لوجودك وهذا أول لقاء بيننا، لم أعلم صدق الأقاويل عنك إلا تواً

جبروت: وأنا علمت مدى ركاكة مملكتكم أثناء حكمك، ولم أظن أنك عفريت ضعيف مغرورٌ، كما ترى لسنا هنا لأجلكم وشأننا ليس كشأنكم أتيت لهدف واحد ألا وهو إنهاء الشياطين، من يظن ما قد يحدث بعدها؟ ربما تصبحون هدفي الثاني عندما أفتك بهم

ارتجف بطاح من كلام جبروت وشعر بقهر لم يشعر بمثله قط، فقد مُسحت كرامته وذل أمام شعبه

ابتسم ابتسامة صفراء وقال: لنرَ

ضحك جبروت ثم قال بغلظة: لم يكن عبثاً عندما لقبت بالباطش

زاد الجو توتراً بينهما ولم يخف على جرم ابتسامة عمه الغريبة

قطع الجو بقدوم المردة والشياطين وبرفقتهم الجن

نظر الطرفان بحقد بعضهما تجاه بعض، علت ابتسامة على وجوه الغيلان بينما بادلت المردة الابتسامة للعفاريت

تقدم الملوك الخمسة إلى المنتصف

ملك المردة: من كان يظن أن المردة والغيلان

سيتجابهون في يوم ما؟!

الملك جبروت: ومن كان يظن أنكم ستهبطون إلى الوحل الذي أتت منه الشياطين؟!

ملك الشياطين مدافعاً: سنضع لهذا النزاع حدّاً اليوم

ضحك الملك جبروت بأعلى صوته ثم قال مستهزئاً: ومن سيضع هذا الحد؟ حثالة أمثالكم؟!

ملك الجن: لم نأتِ للاستهزاء، أفعالنا من ستحدد لذا فليكن النصر حليف الجهة الأقوى

ملك العفاريت بثقة: أحسن ما قلت، ثم وجه نظرة إلى ملك المردة: ستتلذذ بتمزيقكم فأسمعوني صيحاتكم

زمجر ملك المردة وقال: النصر ليس حليفكم الليلة والصيحات ليست سوى صيحاتكم

جبروت بغلظة: يا لتفاهة أقوالكم

عاد الجميع إلى صفوف جيوشهم

- وصلت أول خيوط أشعة الشمس وأنارت منظراً مهيباً حيث انقسمت الأرض لنصفين لأول مرة، فاهتزت الأرض وقد تظنها بسبب أعدادهم الهائلة أو تظن أنها بسبب أحجامهم الضخمة ولكنها في الحقيقة تخشى ما سيأتي، تخشى أن يكرر التاريخ نفسه

«رفع الملوك الخمسة أيديهم لإعلان الحرب العظيمة والتي

سميت بحرب الأباطرة الأخيرة»

- الحلف الأول

قسم جيش الغيلان لثلاثة صفوف أوسطهم أكثرهم عدداً، وعلى الجانبين الأضخم بينما كان الملك جبروت برفقته تسعة وتسعون غولاً من أقوى جنوده فكانوا الأسرع والأقوى حيث كانوا بمقدمة الجيش، تناطحت الجيوش وبدأت الغيلان بالهجوم بشراسة كعادتها فكان الحلفان يتقاتلان بشراسة ومن يقع بالمنتصف بينهما يُقتل بكل وحشية، هجم جبروت هو ومجموعته بكل عنف على الشياطين ناصباً عينيه على ملكهم مما جعله يتغلغل وسطهم، انتبهت الشياطين والمردة والجن لجبروت فارتبكت صفوفهم

أما عن جيش الملك بطاح، فلم تبدأ العفاريت بقوة كالغيلان فقد اضطروا للهجوم من الأرض فاقدين مصدر قوتهم ولم ترتب صفوفهم على الأرض ظانين أنهم سيكتفون بالهجوم من الأعلى متناسين الجن، كانت صفوفهم مشتتة وعلى الرغم من ذلك كانوا الأقل في الخسارة

- الحلف الثاني

الملك هزاع، كان هجوم المردة رادعاً لهجوم الغيلان رغم عدم قدرتهم على قتل العديد منهم إلا أنهم صمدوا بقوة أمام هجوم الملك جبروت، قسمت صفوفهم إلى أربعة

فرق ففريقان بالمقدمة كنقطة هجوم أساسي وفريقان من خلفهم كدعم هجومي يتقدمهم ملكهم الأشرس هزاع وبرفقته أقوى مردته

الملك جمجوم، أما عن الشياطين فهم لا يمتلكون ترتيباً لصفوفهم فأكثر اعتمادهم على تعدد أشكالهم، منهم الطيار والحفار، الهزيل والضخم، الأطول والأقصر لذا اتبع ملكهم نهجاً معيناً حيث رتبوا لجاميع عدة حسب أنواعهم، حيث أظهروا قوة لم يشاهدها بنو الجن منذ مقتل أعظم ملك الشياطين جُحيم، كل منهم كان يعلم كيف يهجم وكيف يحتمي ويحمي ظهر الآخر

الملك قيروان، أما عن الجن فقد أجبرت العفاريت على المواجهة من الأرض لأنهم كانوا يفوقون بقية الأنواع عدداً، فعلى الرغم من ضآلة أحجامهم إلا أن أعدادهم لا تقارن لو جمعت بقية الأنواع بعضها مع بعض، والسبب في ذلك هو طريقة تكاثرهم السريعة، وليس هذا وحسب بل لتنوعهم فمنهم الطيار والسباح والحفار كالشياطين تماماً كلٌ منهم على حسب لونه، وزعوا كمجموعات فبسبب ضآلتهم لا يستطيع الجني الواحد قتال أي نوع وحده، لذا قسموا لعدة مجموعات تتجاوز الآلاف فكل عشرين جنياً يقاتلون غولاً واحداً بينما كل عشرة يقاتلون عفريتاً واحداً، رجحت كفتهم بالقتال لولا تكتيك الغيلان بالهجوم

- الحلف الأول

لاحظ الملك جبروت مدى متانة وثقة الشياطين بعضها ببعض بسبب كلمات الملك جمجوم لهم، ردد الملك جبروت جملته بعد ما لاحظ تدني مستوى الغيلان في الحرب: «نحن ملوك الأرض وأسيادها»، بينما كان يتعمد زعزعة عزم الشياطين فدخل بينهم بكل قوته ومن خلفه فريقه التسعة والتسعون غولاً، أحدث ثغرة كبيرة في صفوفهم إذ بدأ الكثير منهم بالتراجع للخلف خشية من بطشه

الملك بطاح، أعاد عزيمة جيشه وذلك بإعادة تشكيل صفوفهم وضبطهم مستغلاً الثغرة التي أحدثها الملك جبروت، فقام بتقسيم جيشه إلى صفين يتقدمهم الملك بطاح وبرفقته أسرع وأقوى وأضخم العفاريت مقلدة حركة الملك جبروت، فكان يتقدم هو وفريقه مع فريق الملك جبروت، وتتقاسم صفوف الغيلان والعفاريت الطحن من الخلف، زلزلت الأرض بتكتيكهم في القتال، وخيم الهلع على الحلف الآخر

- الحلف الثاني

ملك المردة هزاع، تسلل الرعب إلى قلبه فقد شهد لأول مرة في حياته زلزلة للأرض بفعل بني الجن، أتاه صوت الملك جمجوم قائلاً

: لا بد أن نصمد أمام هذا الهجوم

الملك هزاع: أترى ما أراه؟

الملك جمجوم: لم يحن بعد وقت سقوطنا

الملك هزاع: إني لا أرى سوى الهلاك، كيف تنوي صد هذا الهجوم؟

الملك جمجوم: ثق بي، لقد تزعزعت صفوف جيوشنا وهي متفرقة، أفلا نضمهم ليعين أحدهم الآخر؟

الملك هزاع: انظر في أمر جيشك وسأرى ما يمكنني فعله مع جيشي

الملك جمجوم: أملك خطة ولا بد من اتحادنا نحن الملوك الثلاثة

الملك هزاع: سأقتنص الفرصة لأخبر الملك قيروان

الملك جمجوم: توخَّ الحذر

أطلق الملك هزاع صوت صرخة مدوية كانت كفيلة بجذب انتباه جميع من حوله خصيصاً المردة، ثم قام بكل خفة بقتل كل غول وعفريت كان أمامه وهو يقول

: اليوم هو نصرنا، اليوم سيكون فخرنا، واليوم نحن الأقوى

ليردد جميع المردة من خلفه: النصر لنا، ثم هرعوا خلف ملكهم مقاتلين ومدافعين عن شرفهم

الملك هزاع: لتعُدِ الصفوف، لتعُدِ المردة سادة من سادات الأرض، ثم أكمل بينما هو في وسط جيشه بعد ما

عادوا ليحموا ملكهم

: تعاونوا مع الشياطين والجن، فلتنضم الجيوش بعضها إلى بعض

وهكذا اختل توازن المعركة بعد ما أعيد تشكيل الصفوف

الملك جمجوم، بعد أن أنهى حديثه مع الملك هزاع سار إلى حيث تمركز جيشه بعضهم حول بعض، فكان يحتمي بعضهم ببعض يصدون هجمات الغيلان المباغتة ثم يأتي من منتصفهم آخرون لصد الهجوم الثاني

الملك جمجوم: أهذه هي قوة الشياطين؟ هل هكذا تنوون الفوز بالمعركة؟!

كانت عزيمة الجيش مزعزعة بعد أن أحدث الملك جبروت ثغرة في صفوفهم وأنفسهم

الملك جمجوم: هذه هي فرصتنا لتعود لنا كرامتنا التي سلبت وأراضينا التي سرقت، هذه فرصتنا لننتقم للموكا وأرواح جنودنا المقتولين، هذه فرصتنا لنعود سادات الأرض نسرح ونمرح بها كما نشاء

أكمل الملك جمجوم بأعلى صوته: فلتشهد السماء والأرض، فلتشهد الريح والبحر، فليشهد الرعد والبرق أن هذا اليوم هو يوم خلاصنا

هللت الشياطين وهي تردد: اليوم هو يوم خلاصنا

الملك جمجوم: تعاونوا مع الجن والمردة فلتنضم الصفوف

بعضها مع بعض

وهكذا تشققت الأرض من أعدادهم بعد ما أعيد تشكيل صفوفهم

الملك قيروان، كان جيشه الأقل خسارة من بين جميع تحالفه، وكان جيشه متماسكاً متحاملاً دون أن يتزعزع، كان الأقل في الخسائر ولا يزالون الأكثر عدداً، بعد ما وصلت إلى مسمعي الملك قيروان خطة التحالف، أخذ ينادي الجن أن تنضم بصفوفها إلى المردة والشياطين، ثم بدؤوا بالهجوم كمجموعات مكونة من مردة وشياطين وجن

وهكذا تزلزلت الأرض بعد ما أعيد تشكيل صفوفهم

- الحلف الأول

انزعج جبروت من مآل الحرب فشعر لأول مرة بافتقارهم للقوة، رأى مدى شراسة الشياطين مما جعله ينفعل أكثر لكنه كان مستمتعاً من ذكاء ملكهم الجديد، ويا لها من نشوة لذيذة افتقدها سنين طويلة، تصادمت الجيوش وكان جبروت يقتل بكف واحد كل سيئ حظ يظهر أمامه، ودون أن ينتبه جبروت لما هو قادم تفاجأ بهجوم متعدد لقتله لكنهم فشلوا، عادت الكرة فقد اقترب خمسون شيطاناً عملاقاً برفقة خمسين مارداً ومئة جنيّ، ثم هجموا هذه المرة دفعة واحدة من كل اتجاه، حاول جبروت صد الهجوم هو وفرقته ورغم نجاحهم إلا أن

نصف فرقته قد قتلوا، هز جسده وأهينت كرامته فقد كاد أن يقتل لولا تدخل ابنه جرم لمساعدته، نبه جرم أباه أن هذا هجوم مخطط لجميع الجيش وما حدث تالياً هز كيان الجن والمردة والشياطين تحديداً، فقد صدر زئير ملك الغيلان ومن سمع هذا الزئير لن يرى نور شمس اليوم التالي، ركض ملك الغيلان باتجاه أعدائه بقوة تبعه جميع جيشه، قاتلين ومدمرين لكل ما يقع أمامهم لتتوتر الجيوش ويفقدوا عزيمتهم وتقتل أعداد هائلة منهم فما سمعوه هو زئير الموت، فيتوحش جبروت وكأن قوة بداخله لا تستيقظ إلا بعد زئيره حتى يبدأ بالبطش بأعدائه دون رحمة

استغل ملك العفاريت تشتت أعدائه ليفتك هو وجنده بهم وقد أحرز بفعله تقدماً كبيراً إذ قتل ربع أعدادهم في لحظة هيجان الغيلان، كان ملك العفاريت يضحك بهستيرية أثناء قتله لأعدائه بل وصل إلى حد الجنون وبدأت المردة ترتعد خوفاً من مدى جنون ملك العفاريت، وكل هذا حدث دون أن تتحور العفاريت فهي تمتلك ميزة تختص بها عن غيرها، فعندما تتحور العفاريت يصبحون مفتولي العضلات عريضي الأجساد ويزدادون طولاً بشكل متفاوت وبفارق ليس كبيراً عن المردة، لكن قوتهم لا تأتي دون مقابل فالتحور يعني الغضب وهو يعمي أبصارهم فيصبح قتلهم أسهل، ورغم تهور الملك إلا أنه حافظ هو وجيشه على ميزتهم

في لحظات بسيطة حُصدت أرواح أعداد هائلة من المردة والشياطين والجن لترجح الكفة للغيلان والعفاريت لكنها لم تدم..

إذ ظهرت الوحوش حانثين بالعهد وخائنين للحلف والميثاق

وفي تلك اللحظة تحديداً اهتزت الأرض للمرة الثالثة منذ أن خلقت الجن خائفة راهبة مما هو قادم.

البداية

-يوم عصيب ودمار فظيع حل بالأراضي الخارجية لعدن، بقايا بشر وجنود داخل وخارج أسوار عدن، فتنة راح ضحيتها الكثير صغاراً وكباراً، والسبب هو تاج على رأس ملكة نحيسة الحظ

حيدس: لماذا أطلقتِ الظلال؟، ما الذي كسبته الآن من خسارتك لعشرين عاماً من عمرك؟!

ميرديث: قد حذرتها من قبل لكنها لا تنصت إلا لنفسها

عزيف: ريجينا هل أنتِ بخير؟

ريجينا ببرود: دعوني وشأني

وعادت تجر شبابها الذي لن يدوم طويلاً، دخلت ريجينا حاملة انتصاراً مزيفاً وبينما كانت تسير استوقفها صوت

أغيد: أيتها الملكة ريجينا

توقفت ريجينا لنسيانها أمر السحرة

أكمل أغيد: لا مكان لنا خارج مملكتك

ريجينا: ماذا تريدون؟

أغيد: اللجوء لعدن والعيش بها مقابل ولائنا وطاعتنا

أكملت ريجينا طريقها باتجاه قصرها دون أن تنطق بحرف واحد

بسيل: أظن أنها قد وافقت وإلا لقتلتنا بعد ما هزم ملك الغيلان

أغيد: ربما

تحرك السحرة إلى داخل مملكة عدن وكان عدد الناجين ثلاثين ساحراً وساحرة

عزيف: أين اختفى بجرش؟

حيدس: كما يفعل بعد كل تقلب يغيب ويختفي لأيام ثم يعود كما كان

عزيف بقلق: وإن لم يعد؟!

ميرديث: هو دوماً ما يعود

عزيف: كيف أصبح هكذا؟

حيدس: لا أحد يعلم حقيقة ما حدث قبل خمسين عاماً

ميرديث: كادت أن تقتل خالتك لولا أنه تحور

حيدس: تسأل الكثير

قوطع حديثهم بعد ما اقترب زابع وقال: خسارتنا كانت كبيرة لحرب لم تكن لأجل مصلحة من مصالحنا على الرغم من ذلك أتينا لرد الدين وأكثر من ذلك، قاتلنا جيشاً لم يكن من المفترض أن يأتِيَ

ميرديث: أدين لكم بمعروف

زابع: سآتي في يوم لطلب هذا الدين سيدة ميرديث

ميرديث: تحت أمرك يا زابع

تحدث حيدس بعد ما غادر زابع وقال: ماذا لو كان ديناً لن تستطيعي رده؟!

ميرديث: سترده أنت، فأنت من لا يزال يخطط لذا العاقبة عليك أنت وحدك

حيدس: تعلمين لماذا!

ميرديث: لأجل مملكة لن تعمر

حيدس: لم أقطع كل هذا الطريق لأستسلم

ميرديث: بالطبع لن تفعل

نظرت ميرديث لابنها عزيف ثم قالت بجدية: فلنعد إلى والدك

عزيف معترضاً: لا أريد الذهاب إليه، أود البقاء هنا

ميرديث: حالاً يا عزيف

تأفف عزيف ثم غادر برفقتها إلى الجهة المسودة من الأرض

أما عن حيدس فتأمل حال البشر وهم يخرجون من داخل أسوار عدن للبحث عن أبنائهم وآبائهم حالهم يرثى له، نحيب وألم سادا بينهم بينما يجمعون شتات ضحاياهم ويلقون بها بعضها فوق بعض، أكوام عدة نشأت من بقاياهم ورغم حملهم لجميع الموتى إلا أن الأرض لا تزال رطبة بدمائهم

ثم حدثت أكبر محرقة بالتاريخ حجبت السماء لوقت طويل فغربت الشمس دون أن يشعروا، حتى خفت تدريجياً ليظهر قمر دامٍ لفت أنظار جميع الخلائق

- وفي ذلك المساء التعيس خرجت امرأة سمراء من دكانها وهي ترتدي رداء مثل لون السماء الصافية، رابطة شعرها بوشاح أبيض قد خرجت منه خصلات من شعرها الفاحم متمردة لتحتضن نعومة وجهها الدافئة، تسير مبتهجة غير مبالية بما جرى وكأنها أتت من أرض لم تذق طعم المُر بها يوماً، تهمهم بلحنات زادتها غرابة فمن يراها يظن وكأنها تنتظر موعدها الذي ستلتقي به مع معشوقها، وما أن صعدت أحد المدرجات وشعرت أنها عالية كفاية حتى جلست لتتأمل القمر الدامي

قالت بشوق:

«ظهرت أخيراً يا قمري الدامي»

«أنا الزهراء، ألا تذكرني؟»

«أنا أيضاً سررت برؤيتك مجدداً»

- داخل القصر وعلى إحدى الشرفات وقفت امرأة ذات أربعين عاماً بكبرياء مجروح، فهي قد انتصرت وخسرت في الوقت ذاته عندما استدعت الظلال، منذ تلك اللحظة علمت مدى فداحة ما فعلته سابقاً عندما تعاقدت مع الظلال، قد باعت عمرها في سبيل القوة

كانت تحدق في القمر الدامي بكل هدوء حتى خرجت عن صمتها ثم قالت

: قمر مثير للاهتمام أليس كذلك؟

: فعلاً

ريجينا: سأهبك مملكتك التي تريدها

ابتسم حيدس بجنون غير مصدق ما تسمعه أذناه ثم قال: هذا من كرمك

ريجينا: ولكن مملكتك ستكون تحت إمرتي وإشارتي

تبدلت ملامح حيدس من قولها ولكنه لم يعارض وخضع لكلامها فقال: كما تراه ملكتي

ريجينا: ستكون الملك المؤقت

ثم أدارت وجهها إليه وقالت بحدة: لأنني أنا سأكون الملكة الحقيقية

حيدس: أمرك

ريجينا: ستكون أول مملكة يسكن بها أبناء الجن والإنس وهذه البداية فقط، حتى أحكم العالمين

حيدس: وماذا عن عدن؟!

ريجينا: ستكون أول مملكة موالية لمملكتي الناشئة

حيدس: لكن!

ريجينا: هل تعترض على كلامي؟!

حيدس: لا يا مولاتي

ريجينا: ماذا أردت إذاً بقدومك؟!

حيدس: تناقش القبائل فيما بينها بشأنك

ريجينا: فيم تتناقش القبائل؟!

حيدس: ليهبوك ولاءهم

ابتسمت ريجينا بنصرٍ ثم قالت: يبدو أن نصري على الغيلان أتى بمنفعة

ثم أكملت: أحضر لي سيد السحرة المعارضين

حيدس: كما تريدين

ما أن غادر حيدس حتى استأذن أليرون بالدخول، فأذنت له ريجينا

اقترب أليرون من ملكته كفاية ثم انحنى واعتدل

ريجينا: ما الذي أحضرك يا أليرون؟

أليرون: مولاتي، في قلبي شكوك أجاهد نفسي لأتجاهلها لكنها قد غلبتني

ريجينا: ما هي يا أليرون؟

أليرون: ما كان هدفك منا؟!

صمتت ريجينا ولم تجبه ليكمل أليرون: لنشتت انتباه العدو

فقط؟

ريجينا: وكسب الوقت حتى تهب الزوابع

أليرون: لمَ أخفيتِ الأمر؟

ريجينا: هل كنت تظن أن الجنود سيضحون بحياتهم إن أخبرتكم؟!

أليرون: أملت لو كذبتِ ليرتاح ضميري ويشفى قلبي

استأذن بالخروج بعد ما حضر أغيد إلى قاعة العرش واستأذن بالدخول

ريجينا: أمرت بحضورك حتى أناقشك أمراً ما

أغيد: وما هو؟!

ريجينا: سأنشئ أول معهد لتعليم السحر في عدن وأنت وأتباعك مكلفون به

أغيد: نحن تحت إمرتك

ريجينا: سنحتاج أعداداً هائلة

أغيد: دعي الأمر لي

ريجينا: أنت من سيكون كبيراً عليهم

أغيد: لن يخيب ظنك بنا

- في صباح اليوم التالي وفي قاعة العرش كانت تجلس ريجينا وأمامها عددٌ كبيرٌ من أسياد بعض قبائل الجن

سيد قبيلة الأمازيغ: وصل لمسامعنا ما حدث بأرض عدن بالأمس، وهو أمر مستحيل الحدوث ولم نكن لنصدقه لولا أن شاهدنا البقايا

سيد قبيلة السيانيين: لذا قررنا أن نأتي ونسمع ما لديكم حتى نقرر إن كنت فعلاً تستحقين ولاءنا أيتها الملكة الهجينة

حيدس: يكفي أن تقول الملكة ريجينا

سيد السيانيين: هي بالفعل هجينة ولا أظن أنني استهزأت بها عند قولي هجينة

ريجينا: كفى يا حيدس

نظرت ريجينا لسيد السيانيين ثم قالت: تأتي لمملكتي وتقف أمامي ثم تقول حتى نقرر إن كنت تستحقين ولاءنا!، هل تهزأ بي؟

سيد السيانيين: ليس كافياً أن تقضي على جيش كامل

ريجينا: وما هو الكمال بنظرك يا سيد السيانيين؟!

سيد السيانيين: ما ترغبين به ويعود بمنفعة لنا

سيد الأمازيغ: أتفق معه

ريجينا: ما رأيك بمملكة تنتمون إليها على جهتنا؟

سيد السيانيين: يمكننا أن ننشئ مملكة تخصنا كما فعل إخوتنا، وما نريده هو أن نعيد سيادتنا على الأرض

ريجينا: تحت إمرتي ستعود

تبادل الأسياد النظر بعضهم إلى بعض ثم جلسوا أمام ريجينا واهبين لها ولاءهم

حضر عزيف على نهاية الأمر وكان يبحث من بين الحضور عن جحرش ولكن لم يجده، فاقترب ناحية حيدس ثم قال

: هل رأيت جحرش

حيدس: لم يعد بعد

عزيف: لماذا؟

حيدس: وما شأني به؟!

تذمر من حيدس ثم اقترب من ريجينا وقال

: كيف حال بدنك؟

ريجينا: لا أزال مرهقة

عزيف: عشرون عاماً ليست بأمر بسيط

ريجينا: معك حق، ولكن تحتم علي فعلها وإلا هَلكنا

عزيف: أعلم ذلك، على أي حال هل رأيتِ جحرش؟!

ريجينا: لا أعلم فقد كان ذهني مشوشاً

عزيف: غادر وهو بحالٍ يرثى لها وأشعر بالقلق عليه

ريجينا: ابحث عنه

عزيف: هل ستكونين بخير إلى أن أعود؟!

ريجينا: أتقصد أنني أصبحت كبيرة في السن؟!

عزيف: بالطبع لا فأنت فراشة قد خرجت توّاً من شرنقتها

ريجينا: حشرة إذاً؟

عزيف: سأذهب الآن

ابتسمت ريجينا ثم قالت: عودا سالمين

عزيف: سأفعل

أمرت ريجينا القبائل أن يعيدوا إعمار عدن بعد ما تحطمت

- انتصفت الشمس ولا تزال عدن كئيبة وشعبها في حداد

ريجينا: كيف هي أحوالهم؟

الوزير رافد: لا يزالون في حداد

ريجينا: والناجون من الجنود؟

رافد: غاضبون

ريجينا: كيف بظنك سيشفى غليلهم؟

رافد: بالعطاء

ريجينا: كيف ذلك؟!

رافد: هبة لكل ناجٍ، وهبة لأهل القتلى والجرحى، وهبة لكل من خسر مسكنه

ريجينا: هل سيكفي؟!

رافد: إن خاطبت شعبك ووهبتهم بنفسك

ريجينا: فلتأمر الحراس بقرع الجرس

احتشد الناس أمام شرفة القصر بعد ما رُن الجرس، ثم خرجت الملكة وخطت بخطوات هادئة حتى اقتربت كفاية من الشرفة

قالت: أقدم لكم خالص عزائي على كل غالٍ فقدتموه، أعلم لا الكلمات ولا الأسف ستزيح ذلك الجبل الجاثم على صدوركم، لكنني أعدكم أن تلك الحرب هي آخر أحزانكم، ولأجل إخلاصكم وتضحياتكم العظيمة سأهب لكل جنودي مالاً وأرضاً، ولأهل القتلى والجرحى المال، ومسكناً لكل من خسر مسكنه

هلل شعب عدن بالهبات التي وهبت لهم من ملكتهم

أكملت ريجينا: والليلة سيقام احتفالٌ ضخمٌ في عدن

عم الفرح في طرقات عدن وبدأ الناس بتزيين الطرقات ونثر الورد بكل مكان، يوزعون الابتسامات لكل مارٍّ فعادت عدن التي لا تنام

غابت شمس مبهجة وأضاءت عدن كشمس شرقت من الأرض، مضاءة طرقاتها وكأنها ماسة تلمع في الليل، دقت الطبول وعُزفت الألحان وتراقص الناس على أوتار العود والمزمار

خرجت ريجينا لتحتفل مع شعبها في الساحة الكبرى وجلست تتأمل شعبها وهم مبتهجون، وأثناء هذا الاحتفال العظيم حدث هلع في الميناء ليقترب الحراس من الملكة قائلين

: هناك أسطول كبير يقترب من الميناء

أرسلت ريجينا حيدس ليتقصى الأمر وعاد إليها في ثوانٍ وقال

: أمان

ريجينا: من هم؟!

حيدس: وفد من مصر

ريجينا: ما الذي يريدونه؟!

حيدس: حلف

ترجل الوفد وعلى رأسهم شابان وهما ابنا الفرعون، توقف العزف والرقص وتوجهت الأنظار ناحية الوفد القادم تجاه ملكتهم

انحنى الوفد للملكة ثم قال أحد الأميرين: سلام أبدي

عليك يا ملكة عدن الأولى

ريجينا: وسلامي عليك

أمير مصر: أنا الأمير عريق ابن الفرعون وقد أتينا لنشاركك النصر

ريجينا: أقدر لكم قدومكم لهذه المسافة كُلها

الأمير عريق: ليس هذا كل شيء، فقد أتينا أيضاً لنقيم عهداً وسلاماً بيننا وبينكم، حلف منيع يقام بين مملكتينا

ريجينا: أقدر لكم عرضكم وسأفكر به مليّاً، مرحب بكم للمكوث هنا قدر ما تشاؤون

الأمير عريق: إنه لشرف كبير لنا يا ملكة عدن

أمرت ريجينا باستكمال الحفل والعزف، شارك بعض الوفد بالرقص وكانت ليلة عن ألف ليلة، وضعت مائدة كبيرة صُف عليها كل ما لذ وطاب، وما أن اقترب الجميع من المائدة حتى سمعت ريجينا همساً عند أذنيها يقول:

«مسموم»

قلقت مما سمعته فأمرت أحد الخدم بالتحقق من خلو الطعام من أي شيء وسط غرابة الجميع، فاقترب الخادم من المائدة وتذوق جميع الأصناف ولكن لم يحدث أي شيء غريب

عقدت حاجبيها وما عادت تميز إن كان ما سمعته

حقيقياً أو من نسج خيالها، ودون أن تدرك كانت قد بدأت الفوضى

من البقايا

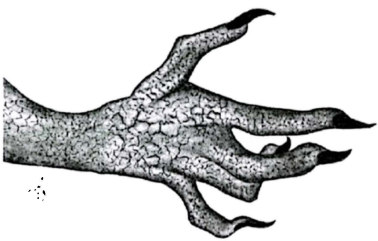

رغم نزوح الكثير من الممالك والقبائل ناحية الجهة الأولى «جهة الإنس» إلا أن هناك قبيلة واحدة استوطنت في الجهة المسودة من الأرض، على الجبال استقروا وبين جحورها سكنوا مبتعدين عن تخبطات العالمين والخلقين فيما بينهما، هائمين في عيشهم غير مبالين ولو احترق كل من بالعالم أجمعون

دخلت ميرديث تجاه قاعة سيد العشيرة وبرفقتها ابنها عزيف، عندما وصل الاثنان أمرت ابنها أن ينحني للسيد دون أن تنحني مثله

السيد بهدوء: هل انتهيتم من حربكم الفارغة!

ميرديث: تعلم أنني فعلتها لأجل ضمان سلامة ابننا يا مهراب

عزيف بحدة: هي ليست حرباً فارغة

مهراب: أنت ستصبح السيد من بعدي يا عزيف

عزيف: سيادة لا أريدها يا والدي

ميرديث بامتعاض: ما الذي تقوله يا عزيف؟!

مهراب ببرود: اهدئي يا ميرديث فلا يزال ابننا صغيراً ليستوعب مدى أهمية الأمر

عزيف معترضاً: لم أعد صغيراً يا والدي

ابتسم مهراب بهدوء ثم قال: من قال إن الأمر بيديك؟!،

قد حُدد مصيرك منذ أن وَعيت على هذه الحياة

عزيف: لهذا لم أطق البقاء بينكما

صفعت ميرديث ابنها وقالت منزعجة: هذا كله بسبب تلك الهجينة

عزيف: هي طوق نجاتي

مهراب: سأتركك وشأنك يا عزيف، وبعد ما يكبر قرناك ستعود إلينا، هذا إن لم تعد مبكراً كسيراً من الدنيا

عزيف بتحدٍّ: لن أعود

مهراب مبتسماً: ستعود

غادر عزيف ممتعضاً وخرج من تجاويف الجبال ثم نظر خلفه وكل ما كان يراه هو حمل ثقيل على كاهليه، حلق مع الريح مبتعداً وعائداً لعدن

ميرديث بنفور: لماذا تركته يذهب؟

مهراب: لم أتركه يذهب، إنما تركت الحياة تصقل معدنه

ميرديث: ما هذا الهراء يا مهراب؟!، ألست قلقاً على ابنك من أن يلقى حتفه؟

مهراب: لن يلقى حتفه، بل ستشكله الحياة كما شكلتني من قبله فإنني أرى نفسي به

ميرديث: لا أصدق ما تقوله

مهراب: أنت لا تعلمين بما أعلم

ميرديث: وما الذي تعلمه إذاً؟

مهراب: بداية النهاية تقترب

- في تلك الأثناء وفي الربع الخالي تحديداً حيث استقامت أضخم مملكة على الأرض يسكنها أضخم وأقوى المخلوقات، انتظر قلة من الغيلان عودة ملكهم برفقة الجيش منتصرين ومنتقمين، طال انتظارهم ثم لمحوا خيال شخص ضخم يقترب وكان ملكهم وحيداً، تساؤلات عدة دارت بينهم:

«ما الذي حدث؟»

«لماذا ملكنا وحيدٌ؟»

«وأين رفاقنا؟»

صَدر صوت صرير أبواب المملكة بعد ما فُتحت ليدخل الملك هزيماً يجر ما تبقى من كرامته، عاد لعرشه حتى يلملم شتات نفسه بعد ما كسر جبروته، لم يجرؤ أحد على السؤال فقد كانت إجابات أسئلتهم أوضح من الشمس

«قد قتل جميع رفاقنا وعاد ملكنا هزيماً وحيداً بعد ما هُزم في الحرب»

إجابات موجعة ثقيلة وذات صدىً مؤذٍ

«كيف خسرنا؟»

«كيف قتل رفاقنا؟»

«ولماذا؟»

مملكة لم يبقَ فيها سوى مئة غول من أصل مئات الآلاف

مرت الأيام والليالي ومملكة الغيلان يسودها صمت رهيب، وأما عن الملك جلمود فكان على حاله جالساً على عرشه غير مصدق لما جرى متأملاً ملكه الذي سينتهي، وما آلمه ليس خسارة أتباعه أو انحناءه لريجينا بل لأنه منذ تلك اللحظة التي انحنى فيها جلمود قد خسرت الغيلان عزة نفسها وأصبحت مملكة هشة على حافة الانهيار

فتح باب قاعة العرش ودخل أحد الغيلان مرتعداً من جلمود مستأذناً بالحديث

جلمود بغلظة رهيبة: ألم أخبركم ألا يأتيني أي أحد منكم؟!

الغول بخشية: مولاي قد أتى ملك المردة وهو بالخارج وبرفقته العديد من المردة

جلمود: دعهم يدخلوا

أعداد هائلة تقف أمام مملكة الغيلان ينتظرون أوامر ملكهم، ولا يعلم أحد عن سبب قدومهم أهو عونٌ أم إعلان انقراض الغيلان من على الأرض

دخل ملك المردة وحده حتى وصل لقاعة عرش جلمود

ملك المردة: مر وقت طويل يا جلمود

جلمود: فعلاً قد مر وقت طويل يا عزام

ملك المردة: ما بالك منكسراً، أهكذا ستنتقم لأرواح أتباعك

جلمود: لا أمل بالفوز ضدها إن أطلقت الظلال من جسدها

عزام: لكل مصدر قوة نقطة ضعف يا جلمود

جلمود: ما الذي تريده يا عزام من مجيئك؟

عزام: أتيت بالمئات من أتباعي وهم الآن تحت إمرتك

جلمود: ما الذي تقوله يا عزام؟

عزام: كما سمعتني لتوك، قد مددت يدك لتعاونني سابقاً وها أنا أرد ديني لك وهم الآن تحت إمرتك وحدك ولا سلطة لي عليهم

جلمود: ولكن هذا كثير جداً يا عزام

عزام: ليس هذا فقط بل قد مدت الوحوش عوناً لك أيضاً، وهائج هو من أخبرني بما قد حدث لأنه كان شاهداً عليها

أكمل عزام بابتسامة واسعة: حربنا واحدة ومرادنا الآن هو استعادة أرضنا من أبناء آدم

ابتسم جلمود: أمهلوني وقتاً حتى أعيد بناء مملكتي

عزام: لك ما تريد يا جلمود فما دامت رؤوسنا شامخة سنسترد أرضنا

جلمود: معك حق، ستعود الأرض ملكاً وحقّاً لأبناء سوميا

عزام: وماذا حل بوريثك ألم تجده بعد؟

جلمود بحسرة: لم نجده، لكننا سنعود حالاً لقلعة إناثنا

عزام: أنجب العديد من الورثة فنحن بحاجة أكبر عدد ممكن من الغيلان

جلمود: سأفعل

- بعد عدة ليال اجتمعت الغيلان المتبقية أمام بوابة قاعة العرش تبعاً لأوامر الملك جلمود، فتحت البوابة على مصراعيها وخرج جلمود بعد ما لملم شتات نفسه، بعد ما نهض من وحل قاتل، وبعد ما اقترب من الموت ونجا

خرج بجبروت مثل جده، حتى ظن الجميع أن الملك الذي أمامهم ما هو إلا تجسيد مصغر من جبروت الباطش

انحنى الجميع خشية من تلك الهالة المخيفة، من ذلك الحضور المرعب، فهذا الحفيد من ذلك العظيم

جلمود بغلظة: اليوم نخلي مملكتنا عائدين لجهتنا المسودة من الأرض، عائدين لزوجاتنا في قلعة الجور، رغم عدم اقتراب وقت التزاوج بيننا وبينهن، إلا أن القوانين تتغير

تباعاً للظروف، ونحن سنعيد المجد الذي كُسر والعزة التي خُدشت، والقوة التي هُدمت، سنعود لمملكتنا هنا وبرفقتنا جيل عظيم من الغيلان، جيل سيزلزل الأرض من عظمته وستستوي الجبال بالأرض رهبة منهم، ثم سننتقم لأرواح موتانا ونعيد حكم الجن وسيادتهم على الأرض

هللت الغيلان بجملة لم تقلْ منذ زمن، جملة قيلت في زمن ملكهم الراحل جبروت، جملة لم تقلْ بعد ما فقدوا الشعور بقوتهم

: أنت الآمر والناهي وأنت الأقوى فلا ملكٌ بعدك يأتي

اهتزت الأرض من الغيلان ثم هدأت تدريجياً بعد ما اختفوا لتتلاشى أصواتهم ويخفت صدى صوتهم

- في جهة أخرى بمكان بعيد، فُتح باب المنزل ودخل كسيراً جريحاً

: ما بال حالك قد ردي يا عزيزي؟

: أشعر أنني اقتربت من حتفي يا سيدي

: ولماذا عدت إلى هنا يا جحرش؟

جحرش: لأموت في هدوء وسلام دون أن يتأذى أحد بفقداني، فإنني أفضل أن أتلقى اللوم لغيابي على أن تُجرح قلوبهم وتَدمع أعينهم

اقترب جحرش شيئاً فشيئاً حتى سقط ارضاً وبدأت أنفاسه تثقل

: وجدت لك رفاقاً يعزونك إذاً؟

جحرش: بل هم أكثر من ذلك

: يا لك من رقيق القلب يا عزيزي جحرش

حمل الغريب جسد جحرش إلى حجرة ووضعه على فراش لبرتاح

جحرش: لا تتركني هنا وحيداً يا سيدي فلا أود أن أفارق الحياة وحيداً

: سأبقى بجانبك حتى تحدثني عن مغامراتك وهوية أصدقائك

جحرش مبتسماً: صديقي شمطونٌ يسمى عزيف أحب أن أتشاجر معه كثيراً، ولدي أيضاً فتاة تدعى ريجينا ولا أستطيع أن أصفها بالكلام فيكفي أنها كبرت بين يديّ

: ومن أيضاً؟

جحرش: لدي شخص عزيز وغالٍ على قلبي لكنني لم أره منذ فترة طويلة

: من يكون؟

جحرش: ليليث

: وماذا حدث لها؟

جحرش: شيء فظيع جداً ولن يحتمل قلبي إن أخبرتك

عنه

: ما أرق قلبك يا جحرش

جحرش: لا أزال جريحاً ولا يزال قلبي متألماً وكسيراً

: سأداوي ألمك وأجبر كسرك، وأضمد جرحك

جحرش: أنجدني يا سيدي

: سيفعل سيدك يا عزيزي جحرش

الدسيسة

في ليلة محمرة على غير الليالي، غمامة سوداء تجمعت لتحجب الرؤية عن السماء نتيجة لحرق أجساد الموتى، ألسنة لهب كبيرة لم تكتفِ بالتهام الأجساد فقد التهمت القلوب من شدة فظاعتها، وما أن خَمدت ألسنتها حتى سكنت الأجواء، نظر الجميع إلى السماء مذهولين مما يرونه، قد ظهر قمر محمر مريب ليتبادر إلى ذهنهم سؤال:

«أيعني نهاية فتنة أم بداية فتنة أعظم؟»

اتسعت حدقتا عينيها بينما حدقت بالسماء ثم قالت: قد ظهر الأول

في ساعات متأخرة من الليل

-: سيدة شفق

شفق: ما الأمر

وصال: تنتظرك رهاد

ارتدت شفق عباءة لتخفي نفسها ثم خرجت من منزلها لترى رهاد الراقصة الحمراء، اتجهت بعيداً عن منزلها كي لا يشك أحد بأمرهما، اصطدمت فجأة برجل غريب يرتدي عصابة على عينه اليسرى، تجاهلته وأكملت طريقها حتى التقت بها بالقرب من مخبز والدها

شفق: انتظرتك طويلاً

رهاد: أعلم ذلك، لكنني لم أجد شيئاً يذكر حتى الآن

شفق: أخبريني بكل ما سمعته

رهاد: ستنشئ الملكة مملكة تجمع الخلقين بها

شفق: هذا هراء

رهاد: وسمعت أيضاً أن بعض قبائل الجن يتشاورون فيما بينهم بعد نصرتها على الغيلان

شفق: أهذا كل شيء؟!

رهاد: أجل

شفق: عودي إلى القصر

- مع ساعات الفجر الأولى خرجت شفق على عجل بينما تفكر بكلام رهاد حتى قررت أن تطلب هائج، فوضعت يديها على قلادتها ومسحت عليها ليظهر أمامها

شفق: خُذني إلى مكان هادئ وخالٍ

مد هائج يديه لتمسك به ثم اختفيا من أمام رجل لم يلمح وجوده أحد

هب نسيم دافئ داعب وجنتيها وتمايل مع خصلاتها، رق قلبها للمنظر الذي تراه بعينيها لأول مرة، تملكها الحنين لهذا المكان لديارها التي ترعرعت بها، جزيرة سان

شفق بضيق: لم أظن يوماً أنني سأرى دياري في وضح النهار

هائج: هنا حيث التقينا أول مرة، لذا ظننته المكان

المناسب

شفق بفضول: كيف هي أحوال والدي؟

هائج: فارق الحياة بعد ما اختفيتِ

جفع قلبها مما سمعته وبقيت متسمرة كالجماد حتى سقطت دمعة حارقة من عينها وتمزق قلبها لأشلاء، جلست على الرمال تكفكف دموعها بأسىً ثم قالت وسط بكائها

: مات جزيعاً بسببي، وطيلة هذه المدة لم يتبادر لذهني أن أسأل عن حاله

هائج بضيق: لا تحملي نفسك فوق طاقتها

شفق: أنا سبب موته

مر وقت طويل بكت فيه شفق بحرقة وألم على وفاة والدها، فرغم قسوته إلا أنه لا يزال والدها، جفت دموعها وبهت حالها

نظرت ما بين الصخور الكبيرة ثم قالت بعد صمت طويل

: هنا حيث كنا نلتقي كل ليلة، وهنا كانت البداية

ثم أكملت: وهنا حيث بدأ كل شيء

هائج: شفق

شفق: لست نادمة على شيء، ورغم أن سبب خروجي من هنا كان لتفسير الأحلام التي أرقتني، ولكن مرت

خمس سنوات وما زلت لم أجد تفسيراً واضحاً لها

هائج: ولكن منذ ليالٍ قليلة توجت الهجينة كملكة

شفق: الأرض تحتضر، ولا ندرك كم الوقت الذي نملكه قبل النهاية

صمتت قليلاً ثم تذكرت سبب قدومهما إلى هنا وقالت

: طلبت حضورك حتى أخبرك بما وصلني من رهاد

هائج: ما الأمر؟

شفق: أخبرتني أن بعض قبائل الجن تتشاور فيما بينها ربما ليهبوها ولاءهم

هائج: هل أنتِ واثقة مما سمعته رهاد؟

شفق: هذا ما قالته لي بالحرف الواحد

هائج: تلك الهجينة ستملك قوة كبيرة إن تلقت ولاء بني الجن

شفق: ماذا سنفعل؟

هائج: يجب أن نفكر ملياً بما سنفعله لاحقاً، سأعيدك الآن لأنه يجب علي أن أغادر

عقدت حاجبيها وقالت: إلى أين؟

هائج: سأخبرك لاحقاً

- عادت شفق إلى منزلها في عدن ثم تفاجأت من وجود

وصال وبرفقتها امرأة ذات شعرٍ أحمر وترتدي رداءً جريئاً لم يستر سوى جزء بسيط من جسدها

وصال: آنسة شفق بحثت عنك طويلاً ولم أجدك

المرأة: كفاك اعتذاراً

ثم نظرت لشفق بحدة وقالت: ما الذي وهبته لشاهين حتى جعلته يتخلى عني بكل سهولة؟

ابتسمت شفق ثم قالت: عاشقة الملك زمرد

زمرد: دعينا من المقدمات الفارغة وأخبريني كيف فعلتها

شفق: بمقابل بخس

اغتاظت زمرد وقالت: ما الذي قلته؟!

شفق: كما ترين يا زمرد أنا شفق وأظن أنك قد سمعتِ سابقاً باسمي

تبدلت ملامح زمرد وقالت: فعلاً سمعتك تسبقك، أخبث نساء عدن

شفق: يا له من إطراء من بائعة هوىً! على أي حال يا زمرد

نظرت إليها بحدة وقالت: حياتك ملكي لذا ستطيعين أمري

زمرد: ما الذي تطمحين إليه بوجودي معك؟

شفق: وددت فتاة مثالية تعرف كل منفذ ومخرج بالقصر، داهية وخبيثة

زمرد: كما ظننت تماماً، وكما فعل غيرك تريدون إنهاء أمور لن تُنهى دون بائعة هوىً

شفق: ما أريده منك هو العمل داخل القصر

زمرد: وماذا تريدينني أن أفعل هناك؟

شفق: أريد الفوضى

ابتسمت زمرد ثم قالت: أهذا كل شيء؟!

شفق: ليس بعد

اقتربت منها ثم مدت إليها زجاجة معتمة وهمست

: أحسني التصرف بها

حملت زمرد الزجاجة ثم أخفتها في ردائها

شفق: ستجدين بالقصر الراقصة رهاد، ساعديها بنقل الأخبار إلي

زمرد: شيء آخر؟!

شفق: يمكنك الانصراف

رن جرس القصر معلناً أن الملكة تود أن تلقي خطاباً لشعبها، خرجت شفق برفقة وصال لتسمعا حديث الملكة حتى اعترض طريقهما رجل يضع عصابة على عينه

اليسرى

شفق: تنحَّ جانباً أيها الغريب

الرجل: مصالحنا مشتركة وأهدافنا واحدة

شفق: لا أظن أنني فهمت ما تعنيه، ولا أجدني مهتمة لمعرفتها

الرجل: حتى وإن كانت تخص ريجينا؟!

بحدة قالت: أفصح عما في جعبتك

الرجل: ليس هنا

شفق: من تكون؟

الرجل: سالم

شفق: وما الذي تود فعله تجاهها؟

سالم: الانتقام

ابتسمت شفق ثم أمرت وصال أن تكمل طريقها للقصر وتسمع خطاب الملكة ثم قالت لسالم

: اتبعني

السوداء

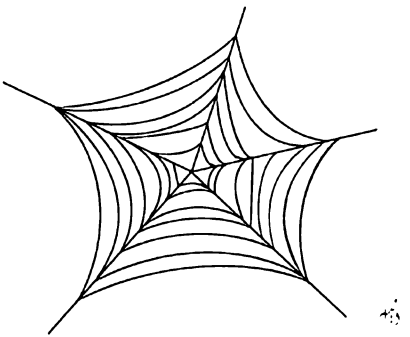

في نهارٍ دافئ في العراء وبعد بحثٍ طويل استمر لشهورٍ عدة جلست مرجانة برفقة زوجها داخل تجويف بأحد التلال، منهكين من البحث متعبين وكان الاثنان نحيلين بسبب قلة تناولهما للطعام

المنذر: مرت أشهر عدة ولم نجد لها أي أثر، ضاقت النفس وانهد الحال

مرجانة: لن أعود بعد

المنذر: يكفي يا مرجانة

مرجانة: إن كنت تود العودة فلتعد

لم يرق له عنادها فزفر عابساً بينما همهم

تشكل فجأة أمامهما خيالُ رجل وقال

: الآشوريون

مرجانة بقلق: ما بهم؟

: هنا

ثم اختفى كما ظهر

تبادل الاثنان النظرات

المنذر: لا مفر

مرجانة: تركنا دون أن يخبرنا بعددهم

المنذر: لنشتتهم ثم نفر إن كانوا أضعافنا

مرجانة: سأرى

تمتمت مرجانة بسحرٍ ثم وضعت يدها على الأرض وفي ثوانٍ نهضت، نظرت إلى زوجها وقالت: عشرون ساحراً

المنذر: سنكتفي بتشتيتهم ثم نلتقي عند نهاية المروج

مرجانة: احذر

المنذر: أعدك

استحضر الاثنان على عجل أقوى أتباعهما وهما حُماة وسقم

صدر صوت من أحد الآشوريين قائلاً: داخل التجويف

المنذر: حان الوقت يا مرجانة

أمر الاثنان أتباعهما بالهجوم ليغادرا من الخلف، لكن قائد السحرة الآشوريين علم فوراً بما نواياه فأمر بالانقسام لفرقتين، غادر بلمح البصر مع فرقة من تسعة سحرة وظهر أمام مرجانة ثم أسقطها بينما كانت تحاول أن تغادر برفقة أحد أتباعها، لمح سقوطها زوجها فعاد مسرعاً لنجدتها

استحضرت فوراً عفريتين مستغلة قدوم زوجها برفقة مارده، صد القائد هجوم المنذر المباغت ولكنه تفاجأ بهجوم العفريتين اللذين انقضا على اثنين من أتباعهم

قال ساخراً: من كان يظن أن الجسد النحيل قادرٌ على مثل هذا الجهد؟!

مرجانة بشماتة: لم ترَ شيئاً بعد أيها الآشوري

المنذر: كيف علمتم بمكان وجودنا؟!

القائد: وصلت لمسمعنا

مرجانة بشكٍّ: تحققنا من إخفاء أثرنا

القائد: يبدو أنك فشلتِ

بغيظ قالت: بقتلكم لنا ستُعلن حربٌ أخرى بيننا وبينكم

القائد: فلتقم إذاً، فقد كشفنا سر سحركم الأسود وقد تكافأت الكفتان

مرجانة: أطلنا الحديث معك

القائد بثقة: أشكرك على ذلك فقد أكسبتني وقتاً جيداً

عقد الاثنان حواجبهما

المنذر: ماذا تقصد؟

استشعرت مرجانة قدوم عدد كبير من الجن أتباع السحرة الآشوريين

استحضر المنذر شيطاناً أرضياً مستغلاً الحديث الذي دار بين مرجانة والقائد

القائد: كيف فعلتها؟

المنذر: سحر لم تكتشفوه بعد

هجم الشيطان على القائد ممزقاً قدمه

مرجانة معاتبة زوجها: تأخرت كثيراً

المنذر: لئلا يُكشف أمري

حاول الأتباع الستة قتل الزاحف لكن مرجانة ضربت الأرض بيدها لتُشل أجساد ثلاثة منهم داخل حيز ضيق

مرجانة: لن يصمد طويلاً

- بالجهة الأخرى

تواجه الطرفان إلا أن الغلبة كانت للسحرة لكثرة أتباعهم، فقد حوصر حماة وسقم في المنتصف ورغم صراعهما إلا أنهما قتلا عدداً لا بأس به من الأتباع، حتى فوجئا بسحر حجز حبسا داخله حدهما من استخدام قوتهما الكامنة، تعرضا لجميع أنواع السحر وهجمات عديدة من الأتباع

خفت الضوء من قلادة مرجانة وعلمت أن تابعها يوشك على لقاء مصرعه

نظرت لزوجها وقالت: أمرهم بيدك سأذهب لأتباعنا

أمرت أحد غيلانها بنقلها وظهرت فجأة من خلف السحرة متعمدة أن تُظهر هجومها ليفروا متشتتين ويُكسر الحاجز حول حماة وسقم

تمتمت على عجل لتشتعل النيران من تحتهم فينشغل بعضهم بينما تأمر حماة بالهجوم ولكن اهتزت الأرض

واسودت السماء

صدر صدى صوت غريب: أهلاً بكم في الجهة المسودة من الأرض

مرجانة: ما هذا السحر الذي توصلتم إليه؟!

لاحظت ظهور أعداد هائلة من الجن على حدود المنطقة التي هم بها

الصوت الغريب: بالفعل هذا ثمار جهدنا

مرجانة: ماذا تريدون إذاً؟

الصوت الغريب: في الحقيقة، لا شيء

مرجانة: لماذا أتيتم لمحاربتنا في العراء؟

الصوت الغريب: حتى نجرب قوتنا فقط، والآن يا مرجانة القرار بيدك

مرجانة: ماذا تقصد؟

الصوت الغريب: من يعود ليبلغ قاداتكم بما رأى

مرجانة بتحدٍّ: كلانا سيعود

الصوت: أحدكما فقط

فجأة قُذف زوجها من أعلى التلة وتفاجأت مرجانة بحاله لتقترب منه بعد ما سقط، وكان بحالة يرثى لها

المنذر: حاولت أن أفي بوعدي، عودي أنتِ ودعيني ألقَ

مصرعي

الصوت الغريب: أنهي عذابه يا مرجانة

مرجانة بسخط: لن أفعل

الصوت الغريب مستهزئاً: ستموتين إذاً ولن تري أختك مزدانة مجدداً

اتسعت عينا مرجانة ثم نهضت ثائرة وقالت بينما ظهرت عروق جسدها: ما الذي تعرفه عن مزدانة؟

الصوت الغريب: الكثير، ولكن سأخبرك بكل شيء حينما تتمين الأمر

تسارعت أنفاسها وضربات قلبها وبدأت تتمتم

صرخ المنذر: مرجانة توقفي!، قد تنعكس عليك

الصوت الغريب: لا فائدة مما تحاولين فعله يا مرجانة

ما زالت تتمتم بغضب أعمى ثم بدأ الهواء من حولها يعصف

الصوت الغريب: ما هذا السحر الغريب؟!

المنذر: مرجانة!

مرجانة بغيظ: هلموا إلي

ثوانٍ بطيئة مرت إذ تفجر المكان واستوت التلال بالأرض، مُحي الوجود ليخلف فجوة عظيمة وانعكس

أثرها على الجهة البشرية بشكل أقل فظاعة

ظهرت مرجانة بحالة يرثى لها خالية من أي معالم بشرية بجسدٍ خاوٍ تماماً، تحمل بيديها ما تبقى من أشلاء زوجها الراحل، كانت تسير بين طرقات بابل تجر جسدها المتهالك وسط ذهول الناس وتساؤلاتهم، ودهشة والدتها وبقية أسياد العشائر

فنذ عودتها تملكها صمت غريب وهدوء فكانت كجثة هامدة، لم تنطق بحرف واحد ولم تبرر لما حدث قط، وفي وسط اجتماع العشيرة السرطان للنظر في أمرها نهضت وغادرت وسط تحذيرات الجميع، واتجهت نحو الملك وقاص ونطقت لأول مرة منذ قدومها حيث أخبرته بجميع ما حدث

- همسات عديدة ونميمة علا صداها مسمعي مرجانة، شكوك قاطعة بأنها تعمدت الترحال برفقة زوجها متعذرة أنه للبحث عن أختها، حتى تقتنص الفرصة للقضاء على زوجها، ولكن يبقى سؤالهم الأكثر إلحاحاً: «لماذا قتلت مرجانة زوجها؟»

: لماذا؟

مرجانة: تحتم علي فعلها

ثراء: هل تبحثين عن الثأر مني؟!

مرجانة: ربما

ثراء: مرجانة!، إنني آمرك بأن تشرحي ما حدث لك وتبعدي الشكوك عن عشيرتنا

مرجانة ببرود: ولم أنتِ واثقة أنني لم أفعلها؟

ثراء: أعلم يقيناً أنك لن تؤذيه

مرجانة: بلى قد فعلت وأنا كما يصفني الجميع

ثراء: ما الذي تنفوهين به؟

مرجانة: الأرملة السوداء

خلف الأفق

بين كثبان رملية وأجواء كئيبة، في خفاء دامس وجدت قلعة ضخمة بين جبال صخرية شاهقة الارتفاع، هناك حيث يقطن الغولات وحيث يترعرع صغار الغيلان حتى يشتد ساعدهم ثم يغادرون باتجاه مملكة الغيلان والتي تسمى بمملكة الجبر

اقتربت الغيلان من مملكة الجور ولمحهم بعض الحراس من بعد أميال ليتحرك أحدهم مسرعاً باتجاه الجرس العملاق معلناً قدوم الملك وأتباعه

تحركت صفوف الحراس وفُتح الباب لاستقبال ملكهم في حدث غريب ومريب، كانت أعداد الغيلان الحارسة بحدود عشرة آلاف غول لضمان الأمان للإناث

ريبة وتعجب كانا سيد الحضور بين الجميع عند وصول جلمود، استقبلت الغولات الملك وأزواجهن بصدر رحب رغم تساؤلاتهن العديدة

سار الملك جلمود بينهن بجبروتٍ وكبرياء وانتظر أمام أبواب العرش أن تُفتح، وما هي إلا ثوانٍ معدودات حتى فُتح على مصراعيه، وظهرت ملكة حسناء رغم ضخامتها إلا أنها كانت حسنة المظهر جميلة المبسم

قالت بحيرة: ما الذي أحضركم إلينا يا عزيزي جلمود؟ لا أظن أن وقت التزاوج بيننا قد حان!، هل تهت بين الأيام مجدداً أم أن ما جلبك هو الشوق؟

ابتسم الملك جلمود ثم قال: لم أته بين الأيام وليت ما

جلبني هو الشوق، أكمل بنبرة حزينة: إنما قتل العديد من أبنائنا وأزواجكن على يد هجينة يسير داخل جسدها قوم ظننا أننا قد سلمنا منهم

مصيبة حلت بين الغولات والعديد منهن أغشين بالبكاء، خبر قاسٍ وفقدٌ أشد شراسة منه

الملكة بصدمة: كيف حدث كل هذا!

جلمود: سأخبرك لاحقاً بكل شيء، ما أريده منك الآن أن تخبري النساء أننا قد أتينا قبل ميعادنا

الملكة: لم يشتد صغارهن بعد

جلمود: أعلم، سنبقى هنا حتى يشتد ساعدهم وتتضاعف أعدادهم

- وبدأ تزاوج الغيلان بعد ما أصدرت الملكة أوامرها ثم عادت متعجبة إلى زوجها

: وأين ابننا يا جلمود؟

جلمود: حبيس ساحر لعين لم أجده بعد يا جريرة

جريرة: ماذا سنفعل إذاً؟

جلمود: أعدك أنني لن أتهاون في بحثي عنه

جريرة: ولماذا استهنت بتلك الهجينة رغم علمك أنها تملك الظلال؟

جلمود: لم أظن أنهم سيكونون بتلك القوة، إنهم أقوى مما

كانوا عليه يا جريرة!، ذلك الرجل الصالح اللعين قد خدعنا ليجند أقوى أبناء الجن

جريرة: ألم يلقَ حتفه؟!

جلمود: لا نعلم يقيناً

جريرة: ما يهمنا الآن هو أنك لا تزال على قيد الحياة، فبموتك ستنتهي الغيلان لا محالة

جلمود: هذا ما خشيته عندما رأيت أتباعي يُنقض عليهم واحداً تلو الآخر في غمضة عين، كانت مجرد ثوانٍ شهدت فيها مصرع آلاف الغيلان، ولأول مرة في حياتي أشاهد مصرع جيش بتلك السرعة

جريرة: ستستعيد الغيلان شرفها يا عزيزي

- في جهة أخرى

على مملكة جبلية تقام في أعالي القمم الشاهقة الارتفاع، وحيث ما بدأت شائعة تدور أن سكانها يحلقون ويشربون دماء الأحياء، فهكذا لقبت العفاريت من قبل البشر بأنهم مصاصو الدماء

في قاعة كبيرة جلس ملك العفاريت صداح والذي كان أصغر سناً من أخيه ومُنع من المشاركة في الحرب السابقة على البوابة، ليرث المُلك في حال مصرع أخيه

جلس أمامه ملكان من الحلف وهما هائج وعزام

: هذا ما وصل إلى مسمعي

عزام: أمر غريب حقّاً

صداح: ألا يعني هذا أن رغبتنا واحدة؟

هائج: بالفعل

عزام: لكن أن نتعاون مع هجينة!

صداح: لهدفٍ أسمى

عزام: أمر مثير للاهتمام حقّاً

هائج: قد تلقت ولاء معظم قبائل الشياطين

صداح: تلعب بنارٍ مشتعلة

عزام: ماذا لو عاوناها؟ ستكون هذه أسرع طريقة لنا حتى نستعيد بها الأرض

هائج: وكيف سنفعل ذلك؟

عزام: ما رأيكما بحلف مزيف؟!

صداح: هل جننت؟!

هائج: لن تقبل بحلف فهي تريد الولاء

عزام: لنهبها ما تريد

صداح: أفق يا عزام فمن تتحدث عنها هجينة

عزام: ولاء مزيف يا صداح

هائج: هل نتوقع أنها ستصدق ولاءنا؟

عزام: سنشاركها في حروبها وندافع عن مُلكها حتى نقضي على البشر أجمعين ثم نغدر بها

ابتسم صداح ثم قال: ماردٌ بحق

هائج: فكرةٌ ماكرة، لكن علينا أن نفكر بحكمة فيجب علينا أن نتقرب منها دون أن تشك بمصداقية ولائنا

عزام: سترحب بأي ولاء من بني الجن فهي مغرورة لا تتصرف بحكمة

صداح: لنفعلها إذاً

هائج: لتكن هذه هي بداية سلطة الجن على الأرض

عزام: لتكن هذه هي بداية عودتنا أسياداً على الأرض

صداح: ولتكن هذه هي نهاية سيادة الإنس على الأرض

- وبين العالمين والجهتين المختلفتين من الأرض كان يرتحل بأسىً يكاد يفقد الأمل بإيجاد رفيقه العزيز، خيط أمل رفيع يكاد ينقطع ورغم ذلك لا يزال متشبثاً به

يتساءل بقلق:

« أين عساك أن تكون؟»

« أين تختبئ ولماذا؟»

وقف لحظات بعد ما أُرهق من الانتقال والترحال لأيام

وردد بصوت ضعيف: أين أنت يا جحرش؟!

صدر صوت من خلفه قائلاً: من هناك؟

كان شاباً ربما في السادسة عشرة من عمره وكان برفقته فتاتان في مثل عمره، توءمتان طبق الأصل باختلاف شخصيتيهما

: ما الأمر يا يامن!

يامن: تحركت الرمال من أمامي فجأة

عبق: ربما بفعل الرياح!

يامن: ليست رياحاً أنا واثق من ذلك

أتاه صوت: معك حق لست بريح

تلفت يامن بجميع الاتجاهات باحثاً عن مصدر الصوت الغريب حتى تشكل أمامه غراب أسود بعينين حمراوين

حاول يامن ربط عزيف بمساعدة عبق وأختها رونق

عزيف: لن تستطيع ربطي

يامن: لماذا؟

عزيف: لأنني شيطان علوي

يامن: وما الذي يفعله شيطان علوي هنا؟!

عزيف: إنني أبحث عن صديق لي وانتهى بي الطريق هنا

بعد ما ارتحلت بين العالمين ولم أجد أي أثر له

عبق: ربما يكون قد فارق الحياة

رونق: أكان عليك حقّاً قولها؟!

يامن: أنا أيضاً أملك شخصاً مميزاً لكنه بعيد عني

لم يرد عزيف بينما اكتفى بالتحديق في عينيه ثم خرج عن صمته وقال

عزيف: ولمَ أنتم هنا؟

يامن: أتينا لأجل مهمة ما

عزيف: أتعلم من يقطن هذه المنطقة؟!

يامن: ذات السلاسل

عزيف: هل مهمتك هذه تتعلق بها؟!

يامن: أ.. أجل

عبق: هو يريد أن يثبت للجميع أنه ساحر قوي رغم أنه لا يخدر من أي عشيرة من عشائر بابل

رونق: نريد طرف إحدى سلاسلها

عزيف: عودوا أدراجكم فهي خصم لا يستهان به، وأنتم سحرة مبتدئون ولا حول ولا قوة لكم أمامها

يامن بإصرار: لن أعود خالِيَ الوفاض

عزيف: حكم عليك بالموت إذاً

يامن: سأعود بطرف من إحدى سلاسلها

عزيف: لا داعي أن تثبت لأحد أنك شخص قوي

يامن: أنا مصممٌ على البقاء

رونق: أيعقل أنك تخشاها أيها الشيطان العلوي؟!

عزيف: ومن أخبرك بذلك؟!

رونق: تحذرنا وكأنك تخشاها

عزيف بتفاخر: بل أستطيع القضاء عليها بقبضة واحدة فقط

عبق بانبهار: يا لقوتك!

رونق: لا أظنني أستطيع تصديقك

عزيف: ولماذا أيتها البشرية الحمقاء؟!

رونق: لا تزال شيطوناً

عزيف: ما رأيك أن أريك ما قد يفعله الشيطون يا ذات الرأس الفارغ؟

رونق: فلتهزمها إذاً وسأصدقك

عزيف: لست مغفلاً لأنجز عمل غيري

رونق: تبّاً! قد فُضح أمري

يامن: هل أستطيع أن أحادثك عندما تجد عزيزك؟

عزيف: بالطبع

يامن: لكنني لا أعلم اسمك وطريقة استحضارك!

عزيف: لأنه لم يجد أحد طريقة لاستحضاري بها بعد يكفي أن تقول اسمي وسأهب إليك

يامن: وما هو اسمك؟

عزيف: اسمي عزيف يا يامن

يامن: سررت بالحديث معك يا عزيف، ورغم مقتي الشديد تجاهكم إلا أنني لا أشعر أنك تملك خبث الشياطين

عزيف: وما أدراك؟

يامن: شخص ما قد أخبرني أن الخلائق لا تتشابه فيما بينها وكما من البشر الطيب والخبيث فأنتم كذلك مثلنا

عزيف: أهذه هي أقاويل من عزيزك الذي تخلى عنك؟

يامن بنبرة حزينة: مع الأسف

عزيف: لا أستطيع تمييزه حتى من قرينك، أمر غريب حقّاً

يامن: ماذا تقصد؟

عزيف: لا شيء، أراكم لاحقاً أيها المبتدئون

رونق: ألن تراجع قرارك وتقاتل ذات السلاسل؟

عزيف: لن أفعل

عبق: وداعاً يا عزيف

حلق الغراب الأسود من أمامهم وغاب عن نظرهم مع الأفق البعيد تجاه الغرب حتى اختفى مع اختفاء قرص الشمس.

ما بين اثنتين

في ليلة لم تكن كبقية الليالي، من كان يتوقع أن يحدث ذلك فلم يفترض بهذا أن يحدث أبداً، في تلك الليلة انقلب كل شيء وأعني حرفياً كل شيء

لماذا يحدث كل هذا معي؟، لماذا يجب أن أعاني وأقاسي كل هذا؟، ما الذي فعلته لتنتقم الحياة مني، أشعر أنها لم تهنني كل هذا دون مقابل ولكن لماذا؟، لماذا تذيقني الفرحة ثم تسلبها مني بكل قسوة؟

لماذا تعيد لي إنساناً هَوِيَه قلبي، لتعود وتحاول أخذه مني بكل قوة بعد ما كان بين اثنتين «ما بين الحياة والموت»

: ما الذي ترينه؟

: جهة مسودة ومخيفة من بيتنا

تلك الجملة كانت كفيلة بأن تُفزع قلبي، إذاً قد عادت ليليث مجدداً ولكنها في هذه المرة تؤذي حبيبة قلبي، ولن أسمح لها بأذيتها هذه المرة، ولن أقف مكتوف اليدين وأشاهدها تعذب

«إما أنا أو أنتِ يا ليليث»

آدم: اهدئي يا عزيزتي لا تقلقي لا بد أنك مرهقة، وربما أن ذهنك لا يزال مشوشاً من بعد السبات

اقترب من جميلة التي كانت تحتضن نفسها في إحدى زوايا الحجرة، تبكي بحرقة وجنون من ذاك الرجل الذي يقف أمامها

جميلة: إياك أن تقترب مني!

آدم: لن أفعل شيئاً صدقيني

جميلة: ما زلت لا أستطيع أن أراك

شعرت بلمسة عند يدها وابتعدت صارخةً

آدم: هذا أنا يا جميلة هدئي من روعك لن يقترب منك أحد ما دمت حيّاً

ثم عاود الاقتراب منها ومسك كفيها، أكمل قائلاً بعد ما اطمأنت: أنا هنا بجوارك ولن أدع شيئاً يؤذيك ما حييت

جميلة بقلق: وماذا عن هذا الرجل الذي لا يزال يقف أمامي؟!

آدم مستغرباً: لا يوجد أحد هنا سوانا

جميلة برجفة: إنه الرجل الأشيب ذاته الذي يأتيني كل مرة، وهو من أحضرني لهذا المكان المظلم

شعر آدم بقلق من هذا الرجل الأشيب، وأصبح متردداً إن كان أحد أتباع لليلث أم لا، ويبقى سؤاله الأهم: ما الذي يريده من جميلة؟

آدم: ما ترينه هو نسيج من خيالك لا أكثر يا عزيزتي، أغمضي عينيك وعدي الأرقام إلى عشرة

جميلة: حسناً

جميلة: واحد، اثنان...، سبعة

ما أن قالت رقم سبعة حتى اهتز المكان لتفتح جميلة عينيها وتبتسم قائلة

: لقد اختفى كل شيء!

آدم: هل أنت بخير الآن؟

جميلة: أجل

- خرجت مسرعاً من منزلي بعد ما تيقنت أن جميلة قد خلدت إلى النوم بسلام، توجهت ناحية حدود الغابة المظلمة وبدأت أصرخ

: ليليث!، أظهري نفسك حالاً "مكتبة ضاد حاضرة دائمًا"

لكن لم يأتني أي إجابة منها فقط صوت رياح وتمايل الأغصان، انتظرت وقتاً طويلاً ثم عاودت الصراخ بأعلى صوتي

: ليليث

طارت الغربان مبتعدة وهي تنعق في السماء، وبت محتاراً من فعلتها فلم أعد أعلم إن كانوا جنّاً متشكلين أم غرباناً حقيقية

: ما الذي تريده يا ابن آدم؟

آدم بقلق: من أنتِ؟

: أنا سيدة هذه الغابة

آدم: المعذرة إن أزعجتك إنني أبحث عن ليليث

ببرود: لم تعد ليليث هنا

آدم: هل تعلمين إلى أين ذهبت؟

: لا تقحم نفسك في جهتنا لأنني أحذرك أنك لن تخرج حيّاً منها، وإياك أن تخوض في أمور لا تعنيك أيها البشري، عد الآن من حيث أتيت

آدم مبرراً: إن زوجتي مرهقة وأصبحت ترى الجهة المسودة من الأرض

: إذاً لا أمل في شفائها

آدم: ولكنني لن أتحمل خسارتها وخسارة طفلنا

: إن كنت تريد نجاتها فتخلَّ عن طفلك الذي يكبر في أحشائها

آدم: هذا لا يعقل كيف لي أن أتخلى عنه؟

: إن وهبته لنا فسنحرص على أن تتعافى جميلة وألا تزور جهتنا المسودة

آدم: لن أفعل

: تحمل إذاً نتيجة اختيارك

آدم بثقة: سأفعل وسأحرص على ألا يصيبهما أي سوء منكم يا بني الجن

غادرت محطماً وشعرت بالضياع، لم أعد أعلم بماذا قد أضحي فقد ضحيت بالكثير والكثير من عمري مقابل أن أتذوق طعم السعادة الذي لا أكاد أستطعمه حتى تخدعني الحياة، فأذوق المرارة منها

غادرت وأنا أتمنى أن تبقى المياه في مجاريها راكدة، فأنعم بحياة مسالمة وهذا كان أمنيتي الوحيدة

- بعد عدة ليالٍ استيقظت فزعاً من منامي، وهرعت إلى جميلة التي كانت تتأوه من شدة الألم

آدم: ما بك يا جميلة، ما الذي حدث الآن؟

جميلة ببكاء: لقد لمس الرجل الأشيب جوفي وقال إنه سيهب طفلنا هبة، والآن أشعر بألم شديد

آدم: لماذا تركته يضع يديه؟!

جميلة: كنت معترضة على الأمر ولكن تسمر جسدي

آدم: سأجد حلاً لا تقلقي

عدت لسيدة الغابة وسألتها عن هذا الرجل الأشيب وأخبرتني أنها تعلم من يكون

: لن تستطيع عمل شيء له

آدم: لماذا؟

: لا حول ولا قوة لك أمام الشياطين العلوية يا ابن آدم

آدم: ما الذي يريده من زوجتي إذاً؟

: يريد ما ينمو في أحشائها، ويتردد كل يوم لرؤيته

آدم: كيف أستطيع منعه؟

: لا تستطيع، إلا إن مارست السحر الأسود

علم آدم فداحة الأمر واعترض أنه لن يفعل شيئاً كهذا بتاتاً

: إذاً فاصبر ولا أمر بيدك فهو يخطط لشيء فظيع، وشيء فظيع يوشك أن يقترب

آدم: ما الذي تقصدينه؟

: ستحتضر الأرض مجدداً

آدم: لم أفهم ما ترمين إليه يا سيدة الغابة

: لا علم لي بالكثير يا ابن آدم، فأنا شيطانة عجوز وأسكن في غابتي مع القليل من أتباعي

آدم: ما الذي يريده هذا الشيطان من طفلنا؟

: الكثير

- مرت الأشهر بطيئة علينا، وما زالت تراود جميلة نوباتها وزيارات هذا الرجل الأشيب لها كثيراً، وكل ما أمكنني فعله هو تهدئتها

وفي أحد الأيام قررنا أن نتنزه بالخارج ونمر بمنزل والديها في طريق عودتنا، سرنا باتجاه الوادي الجاري وبالقرب

من تلك الشجرة المعمرة جلسنا معاً، بعد ما فرشنا الأرض

جميلة: الجو بديع جدّاً اليوم

آدم: فعلاً

نظر إلى حجم بطنها ثم وضع يده عليه وقال: لا أطيق صبراً لأسمع ضحكات طفلنا

ابتسمت جميلة ثم قالت: أنا كذلك، ولكن ماذا سنطلق عليه؟

فكر آدم قليلاً ثم قال: ما رأيك باسم البتار!

جميلة: إنه جميل جدّاً، ولكن أريد أن أسميه مُهاب

آدم: لا بأس سيكون مُهاب إذاً، والولد الآخر سيكون البتار

ضحكت جميلة ثم قالت: ماذا إن كانت فتاة؟

آدم بحيرة: لا أعلم حقّاً، هل تفكرين باسم ما؟

جميلة: لا، لا أملك شيئاً في ذهني لكنني واثقة أننا سنجد اسماً ملائماً لها

آدم: معك حق

جميلة: أشعر بركلة من طفلنا

آدم: حقّاً؟، لا بد أنه أعجب بالأسماء التي اقترحناها له ولأخيه

جميلة: وربما أنه متحمسٌ للقيانا

تبادل الاثنان نظرات الحب، ومر الوقت سريعاً ليقررا العودة

جميلة: لنمر بمنزل والديّ

آدم: كما تريدين يا جميلتي

طرق الاثنان باب المنزل واستأذنا بالدخول ثم جلسوا جميعاً

مهيرة: كيف حالك وكيف حال حفيدنا؟

جميلة: أنا بخير وطفلنا متحمس للمجيء

نصير: إن علم ما ينتظره من الحياة فلن يتحمس وربما لن يود الخروج للحياة

جميلة: أبي كف عن هذا الحديث

آدم: إنه يمازحك

جميلة: أعلم ذلك

- وفي أحد الأيام وجدت نفسي بغرفة غريبة زاهية ألوانها، مددت يدي باتجاه الحوائط ولاحظت أنها قد صبغت حديثاً، ما زاد تعجبي هو ظهور مهد من العدم، اقتربت منه شيئاً فشيئاً، ووجدت طفلة رضيعة بعينين حادتين وشعر أسود كحلكة الليل، ذات بشرة فاتحة ووجنتين حمراوين وشفاه كالورد، ظننتها دمية جميلة في

بادئ الأمر لولا أن رمشت، وددت أن أحملها بيدي ولكن نظراتها تجاهي كانت مريبة، وكأن حقد العالم كله اجتمع في عينيها حتى أنني شعرت بهالة كره تصدر منها منذ أن اقتربت من مهدها، هذه الطفلة تمقتني مقتاً شديداً ولا أعلم يقيناً لماذا

أتت غربان عديدة حول المهد ثم هبطت بومة على طرفه الأعلى وكأنهم يحذرونني من الاقتراب منها أكثر، تراجعت للخلف ثم بدأت الغربان تنعق بصوت مزعج كاد أن يدمي أذنيّ، لأستيقظ منزعجاً من منامي

جميلة: ما بالك يا عزيزي؟

آدم: لا شيء مجرد كابوس غريب

جميلة: عانقني وحينها ستغادر جميع كوابيسك

ابتسم آدم بلطف ثم نظر لجوف جميلة الذي كبر بالحجم وشعر برهبة مما ينمو بداخله

لم يتوقف الأمر عند هذا فكلما استيقظت سمعت من حولي ضحكات طفلة وظلالاً تركض بالأنحاء، ظننت أنها خيالات بسبب الكابوس الذي أصبحت أحلم به بكثرة، ولكنه كان يتزايد يوماً بعد يوم، حتى أتى ذلك اليوم الذي رأيت فيه الطفلة ولكنها أكبر بعدة أعوام، تقف أمامي مبتسمة بهدوء واختفت دون أي أثر

في اليوم التالي عادت وزارتني في حلمي ولكن البراءة

قد اختفت منها، فالطفلة التي كانت تقف أمامي مخيفة ومرعبة، طفلة تجردت من طفولتها فقد كانت ترتدي رداء أبيض صبغ بالدماء ومن حولها العديد من الغربان التي كانت أعينها تلمع باللون الأحمر، وعلى كتفها الأيمن وقفت تلك البومة البيضاء، أما عن الطفلة فكانت تمسك برأس حمامة بيضاء في يدها اليمنى وجسد الحمامة بيدها اليسرى، ابتسامة مريبة ثم فجأة تلونت عيناها باللون الأحمر وقالت: «أنا فتنة قادمة»

سرت رعشة في جسدي ما الذي تراه عيناي وما الذي تسمعه أذناي؟ ما هذا الكابوس المزعج ما هذه الطفلة البشعة؟! لوهلة تمنيت أن لا تلد زوجتي جميلة وأن يموت طفلي في رحمها، استيقظت فزعاً بسبب صرخات جميلة المتتالية

جميلة: آدم، ساعدني

أصبحت جميلة في شهرها السابع وها هي تمر بالمخاض، هرعت إليها وعلمت حينها أن اللحظة التي لم أتمنَّها قد حانت، أسرعت مغادراً منزلنا لجلب القابلات ووالدي جميلة، طال الوقت وكدت أن أقضم أصابعي قلقاً وتوتراً

فُتحت الحجرة وخرجت السيدة مهيرة مبتسمة وهي تحمل المولود ثم اقتربت منهما، باركت لآدم وقالت

: إنها طفلة جميلة ورقيقة كالورد، ناعمة كالحرير

مددت يدي لأحملها كانت هادئة فلم تبكِ منذ أن

خرجت من أحشاء والدتها، شككت أنها ميتة لولا وجه السيدة مهيرة المبتسم، ما أن نظرت لملاح وجهها حتى ارتبكت، حاولت أن أخفي ربكتي لتخرج مني ابتسامة صفراء أخفي خلفها رهبتي من ابنتي، ملاك صغير في جسد شيطان وتلك الملاح

تلك الملاح ذواتها

عينان حادتان وشعر أسود كحلكة الليل، ذات بشرة فاتحة ووجنتين حمراوين وشفاه كالورد

نصير: ما سيكون اسم حفيدتنا؟

مهيرة: يجب أن يكون اسماً لائقاً وجذاباً كجمالها

تبادل الجميع النظرات في انتظار سماع اسم الطفلة

آدم بتردد وقلق: سأسميها ريجينا

يتبع.

جميع الحقوق محفوظة لدا: مكتبة ضَـاد، الإلكترونية. ©

تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

أشرف غالب.

عندما بدأت الأرض تحتضر

راجيـــن مسلـــم

@Rajeensul

@RajeenSu

ضياء

t.me/twinkling4

9 786038 411148

adabarabic/

service_book

servicesbook1

www.adab-book.com